

المسرحية القادمة

٩

الدائرة

تأليف
سَمَرْسِت مَوْم

ترجمة : عزيز مستري عبد الملك
مراجعة : على فهمي
تقديم : دريني خشبة

THE CIRCLE

by :

SOMERSET MAUGHAM

مطابع كوستا تشوماس وشركاه

٥ شارع وقف العزيز على القاهرة - تليفون ٤٤١١٨
١٣ شارع جيتيلال بالمتاحف - تليفون ٥٦٦٣٩

روائع المسرح العالمى

سلسلة مسرحيات عالمية
تصدر يوم ٤ من كل شهر

صدر منها :

- ١- السقيقات الثلاث
تأليف : أنطون تشيكوف
ترجمة : الدكتور على الراعى
- ٢- أعمدة المجتمع
تأليف : هنريك إبسن
ترجمة : عزيز سليمان
- ٣- سيرانودى برجرال
تأليف : أدولف رومان
ترجمة : عباس حافظ
- ٤- مروم ليدى ونديمير
تأليف : أوبكار وايل
ترجمة : عباس يوسف
- ٥- بينيلوي
تأليف : سومرست موم
ترجمة : مفيد الشوباشى
- ٦- الغربان
تأليف : هنريك بييل
ترجمة : الدكتور محمد القصاص
- ٧- اليكتر
تأليف : جان هيرودو
ترجمة : الدكتور محمد غلاب
- ٨- توركاريه
تأليف : لوساج
ترجمة : أنطون عزال

تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومى

الإدارة العامة للثقافة

الناشر : الشركة التعاونية للطباعة والنشر

١٤ شارع عماد الدين - ٤١٣٠٣ - القاهرة

اللائحة

تأليف : سميرت موم

ترجمة : عزيز مري عبد الملك

مراجعة : علي فرحي

تقديم : د. ريني فسيب

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

إدارة العامة للثقافة

الدائرة

تأليف

سَمَرْسِت مَوْم

ترجمة : عزيز مستري عبد الملك

مراجعة : على فهمي

تقديم : دريني خشب

THE CIRCLE

by :

SOMERSET MAUGHAM

الحقبة

بقلم الأستاذ
دريفي خشبمه

لكي يعرف القارئ مؤلف هذه المسرحية السير « وليم سومرست موم » - على حقيقته لا بد له من معرفة الحقائق التالية ، التي كان لها أكبر الأثر في نفسه وفي تطوره الفكري والاجتماعي :

١ - لا بد له أن يعرف أنه ولد وشب في باريس (١٨٧٤) . . أي في بيئة فرنسية متحررة قضى فيها طفولته كلها ، في ظل والده سكرتير السفارة البريطانية ، هناك . . . يتكلم بلغة غير لغته ، ولا يكاد يتحدث بالإنجليزية إلا في بيت أبيه . . . ومن هنا تنشأ عقليته على ما تنشأ عليه عقلية الأطفال الباريسيين .

ثم تموت أمه وهو فى الثامنة فيذوق كأس اليتيم الأولى . .
وتأخذ نظراته إلى الحياة تتبدل تبديلاً بطيئاً . . . ثم ينتقل إلى
لندن . . ويموت أبوه وهو فى العاشرة ، فيزدرد الكأس المرة
الثانية . . . ويكفله عمه الطيب . . العم القس . . الرجل المتدين
الذى يتخذ من الدين صناعة لا يعرفها هذا الصبي الباريسى
المتحرر . . . والذى يعيش الآن فى حى من أفقر أحياء لندن . .
ويلاحظ عمه القس الطيب هذا فيبتسم . . ويدرك من فوره
أن ابن أخيه اليتيم مولود للعالم لا للدين . . ولا يحزنه هذا ،
بل لعله يبتهج به ، فيلحقه بمدرسة كنتربرى الثانوية . . .
وهناك يسخر منه أساتذته المدرسون وزملاؤه التلاميذ على
السواء . . . فلقد كان يأخذ الغمرة النهائية فى اللغة الفرنسية . .
بينما يأخذ (صفراً !) فى اللغة الإنجليزية التى لم يكن يجيد حتى
التكلم بها . . فما بالك بكتابتها ، والإلمام بمصطلحاتها التى تنيف
على نصف مفردات هذه اللغة الشاذة المتعبة .

ولا ييأس موم . . بل يكب على هذه اللغة يقرأها فى
الكتب والروايات ، ويقيد مفرداتها ويرصد شواردها حتى
تدين له بعض الأشياء . . .

ثم يشير عليه عمه بعد إتمام دراسته الثانوية أن يسافر إلى
ألمانيا ، لكى يلتحق بكلية الطب فى جامعة هيدلبرج فلا يمانع
موم . . ولعله لا يمانع حتى يفر من لندن . . ومن إنجلترا
كلها . . إنجلترا التى كرهها وراح يسخر منها كما كان يسخر

منه أساتذته وزملاؤه .. انجلترا التي كانت تروح في ذلك الوقت تحت نير التقاليد الفكتورية السخيفة .. والتي كان البورجوازيون مسيطرين فيها على كل شيء .. على الحكم .. وعلى التجارة .. وعلى الصناعة .. وعلى المستعمرات التي لا تغرب عنها الشمس .. وعلى المظاهر السطحية التافهة التي كانت تمسح عقلية هؤلاء البورجوازيين وتشل تفكيرهم وتفصح تصرفاتهم ، مما تراه جلياً واضحاً في هذه المسرحية التي نقدم لها .

و يتم موم دراسته الطبية التي لم يكن يشغل باله بها ، كما كان يشغل باله بدراسة الأدب والتفرغ للكتابة ، التي نذر لها نفسه كلها ، ولم ينذر منها شيئاً لممارسة مهنة الطب ... وها هو ذا وهو لما يزل طبيب امتياز يكتب أولى قصصه الرائعة : « ليزا فتاة حى لامبث » .. تلك القصة التي أعادت إليه الثقة بنفسه بوصفه كاتباً يجيد الكتابة باللغة الإنجليزية .. ثم هو لا يقنع بهذا ... إنه يكتب مسرحية أيضاً وهو طبيب امتياز أيضاً بمستشفى لامبث .. وهو يكتبها باللغة الألمانية التي أجادها وبرع فيها وأحبها ... وتعجب إحدى الفرق الألمانية بالمسرحية فتخرجها وتمثلها على أحد مسارح برلين فيقبل عليها أهل العاصمة ويعجبون بها ، وهم ذوو الإحساس الدقيق المرهف الخبير بفنون المسرح .. وهنا يتأكد موم أنه خلق للأدب .. للكتابة بألوانها من قصة وأقصوصة ومسرحية ..

ولم يخلق للطب . . فينقطع هذه المهنة الجديدة .

٢ - وتهفو نفس موم إلى فرنسا . . إلى باريس الحسنة

المتبرجة ، فيرحل إليها بعد أن يضيق بالحياة في إنجلترا
الفكتورية المتزمتة التي تضطرب الحياة فيها بالرياء والنفاق . .

ويقضى في باريس عشر سنوات متتاليات . . ثم يحن إلى

الرحلة . . والرحلة إلى أقطار الشرق التي يسمع عنها فهفو

إليها نفسه . . الشرق الذي وصفته قصص ألف ليلة وليلة

بما تحفل به من مادية، وخيال وسحر ومغامرات . . فيعمل

طبيباً على إحدى البواخر الميممة إلى الشرق الأقصى، لكي

يستعين بالراتب الذي يتناوله على نفقات الرحلة . . وهكذا

يمر موم بقناة السويس ، ولا ينسى أبداً تلك الرحلة الخالدة

التي نقلته عبر البحر الأبيض والبحر الأحمر وبحر العرب

والمحيط الهندي إلى جزائر الشرق الأقصى حيث السلام وحيث

الدعة وحيث الحياة في أحضان المحيطين العظمين ، اللذين لم

تتلفهما حضارة أوروبا الصناعية الاستعمارية بعد . . وحيث

الخيال الحصب الذي أملى على مؤلف ألف ليلة ، قصة

السندباد . . فيؤخذ الرجل . . ويشعر كأن حياة أخرى قد

انفتحت أمامه . . حياة الفن التي تتمثل في إكبابه على رسم

لوحات من هذا الجمال الطبيعي لم يكن أحد يفهمها ولا

يقدرها . . ثم حياة الكتابة التي يرسم فيها هذه اللوحات

الإنسانية بالقلم والمداد لا بالفرشاة والألوان . . ثم يفضل

آخر الأمر لوحاته المكتوبة فينصرف عن لوحاته المرسومة .
٣ - لكنه لا يلبث أن يسمع صليل الحرب العالمية الأولى
يثيرها الساسة الحمقى ، ويشعل نارها صناع الأسلحة ،
ويؤجج أوارها الرأسماليون الشرهون . . فيفبق الأديب
القصاص من غفوته الوسنانة الحلوة . . ليتسلم أمراً بأنه
مجنّد ، وأنه مدعو للعمل بالخبرات البريطانية . العمل
بالخبرات ! ! إنها الجاسوسية إذن ! والجاسوس من ؟ إنه
ذلك الأديب الكبير الذى يكاد أن يكون الإنجليزى الوحيد
الذى يحمل ضميراً ! إنه وليم سومرست موم ! وعمله هو
أن يعمل جاسوساً لأُمته التى تظلم العالم كله ، وتنتشر فيه
الفساد الاستعماري الموبق . . وذلك بالدس ، وبالخدعة ،
وبإقامة عروش الدمى فى مستعمراتها التى افتتحها لها القراصنة
وذللها لها العملاء !

لشد ما غثيت نفس موم من هذا الرجس الذى كانت
تقوم به إدارة المخبرات !

وينتدب المهمة فى روسيا فينتهز الفرصة لكى يصل سلسلة
رحلاته القديمة ، وليزور البلاد العريقة التى أنجبت جوجول
وپوشكين وتولستوى ودستوئفسكى وجوركى . . . ومن
إليهم من ملوك القصة وأعلام الأدب الواقعى الذى افتتن به
موم . . . وليرى بعينه مقدار الشظف الذى كان يعانيه الشعب
الروسى فى زمن كانت تلى الحكم فيه حكومة معظم ذوى

السلطان فيها من رجال المخابرات الذين يعملون لحساب القيصر مباشرة . . . زمن كانت سجون روسيا فيه مكتظة بضحايا لم يكن لهم ذنب إلا الحلم بالحرية ، والتفكر في حياة أحسن . . ولا يكون جزاؤهم على هذه الأحلام المعسولة إلا الزوج بهم في غياهب السجون ، أو النفي إلى مجاهل سيبيريا . . . هذا إذا سلموا من الموت أو الشنق أو الرمي بالرصاص !

وكانت الرحلة زاداً لا يفنى لقلب الأديب النابض . . لقد رأى نفس البلاد التي أمدت أعظم القصاصين في التاريخ بذخائرهم القصصية الخالدة . . الذخائر الحية التي كانت صوراً ولوحات باكية لحياة أمة بأسرها تشقى وتتعذب وتكدح . . وتعيش بلا أمل !

ويقرأ موم هذا القصص الروسي العظيم كله . . ويضيف ما قرأه منه إلى ما قرأه من مثله من قصص الكتاب الطبيعيين الفرنسيين ، وعلى رأسهم زولا والأخوين دي جونكور وغيرهم من زعماء المذهب الطبيعي في فرنسا ، وما قرأه من قصص دكنز وفيلدنغ وسكوت وهاردي ثم كونراد وستيفنسن بخاصة ، وهما الكاتبان اللذان تأثر بهما موم وتعلمد عليهما في فن القصة الوصفية الواقعية ، وراح يقلدهما في معظم ما كتب . وشهد في روسيا أيضاً أطرافاً من المسرحيات الروسية التي كانت تصطبغ في ذلك الوقت بالصبغة الطبيعية القائمة . . . ولاحظ ما بين هذه المسرحيات وبين مثيلاتها من المسرحيات

الألمانية الطبيعية من الأواصر ومن صلات النسب ، المسرحيات
التي كان يقدمها مسرح الـ (Freie Buehne) الألماني في برلين ،
أو المسرح الحر الذي أنشئ على غرار المسرح الحر الفرنسي
أو الـ (Théâtre Libre) في باريس ، والذي أنشئ على غرار
أيضاً المسرح الحر الانجليزي أو الـ (Free Theatre) في لندن .
والتي أنشئت جميعها لتقديم هذا اللون القائم من المسرحيات
الطبيعية والمسرحيات الواقعية الصارخة في صبغتها الواقعية . .
فكان لذلك كله أثر عميق في فن موم وفي فلسفته . . سواء
كان ذلك في ميدان القصة أو ميدان المسرحية .

٤ - وإلى هنا تكون الخمائر التي فعلت فعلها في أدب موم
قد قاربت حد الاكتمال . . . طفولة وشباب متحرر في
باريس . . ثم يتم وغشيان في لندن . . ثم فكر وفلسفة في
ألمانيا . . ثم روحانية في « شرق السويس » كما يسمى إحدى
مسرحياته ، ثم ثورة الأحرار المعذبين في روسيا . . هذا
بالإضافة إلى ما قرأه من آداب تلك الأمم ، وما تأثر به من
أساليب كتابها في التفكير وفي تناول . . . ونخص بالذكر من
هذه الأساليب الأسلوبين الجارفين ، أو المذهبين الكبيرين
الذين ظهرا في أواخر القرن التاسع عشر . . ألا وهما المذهب
الواقعي ، ثم فرعه : المذهب الطبيعي . . . لإنهما المذهبان
الذان عاش في ظلهما ولیم سومرست موم ، طفلاً وصبيّاً
وشاباً ورجلاً وكهلاً . .

والمذهب الواقعى هو ما يصف الحياة وصفاً دقيقاً
تفصيلياً . . . بل وصفاً فتوغرافياً فى أغلب الأحيان . . .
والكاتب الواقعى هو الكاتب الذى هذه طريقته ، غير أنه فى
الغالب الأعم يكون كاتباً ذا رسالة وله فلسفة ، وهو من أجل
تتخذ القصة أو الأقصوصة أو المسرحية - بكل أشكالها -
وسيلة لشرح رسالته وتوضيح فلسفته والتبشير بهما بين
الناس . . . ومن أجل ذلك أيضاً تراه يحنى وراء شخصياته
القصصية أو المسرحية ، ليتكلم بلسانها . . . يسأل ويحجب
ويفكر ويفلس ويحاور ويلاهى ويضحك ويبكى ويمزح
ويحبك العقدة ويطرحها ويحلها أو يتركها لك تختار لها الحل
الذى يروقك والمخرج الذى يرضيك . . . وهو يقنع آخر الأمر
بأنك آمنت بفلسفته وتقبلت رسالته ، فإن لم تكن آمنت بهما
أو تقبلتهما فلأنك قد تأثرت بهما على الأقل ، أو أنك اتخذت
منهما موقفاً مضاداً تتولد فيه أفكار جديدة وفلسفات شتى .

فإذا تسمى المذهب الواقعى عن هذه الصبغة الفتوغرافية ،
واكتفى من وصف الحياة والأحياء بنقل أروع ما فيهما
وتركيذه ، وتجميله بالأخيلة والألوان - مع الفلسفة الخفيفة
الهيئة اللينة . . . كان الكاتب العبقري حقاً . . . فإذا جاوز تلك
الحدود إلى الرمز والاستغراق فى الفلسفة والتغلغل فى أغوار
النفس الإنسانية كان الكاتب الذى يبدأ واقعياً ثم يتجاوز

حدود الواقعية إلى مذاهب ومجالات فكرية أخرى ليس هنا موضع الخوض فيها .

أما المذهب الطبيعي ، والذي يخلط كثير من الكتاب بينه وبين المذهب الواقعي ، فهو وإن يكن فرعاً من الواقعية إلا أنه يختلف عنها بما له من مميزات وسمات . . إنه ذلك المذهب الذي يأخذ فيه الكاتب الطبيعي شريحة من الحياة . . أو مقطعاً منها ، ثم يعرضه علينا بكل ما فيه من مظاهر . . وذلك كما يصنع العالم الجيولوجي ، أو عالم طبقات الأرض ، حين يأخذ مقطعاً من مقاطع جبل أو سهل أو صحراء ، ثم يشرع في تصنيف ما يتركب منه هذا المقطع أو ما يتركب منه في خلال الأجيال والأحقاب . . وهو يصنع هذا في غير فلسفة أو تحليل أو تعليل . . إنه يعرض علينا ما يتركب منه المقطع عرضاً طبيعياً . . أو كما صنعته الطبيعة . . ثم يتركنا نفكر لأنفسنا ، ونستنبط ما توحيه إلينا تلك الصور التي رأيناها رأى العين .

ومن أشد الفروق بين الكاتب الواقعي والكاتب الطبيعي أن الأول يتخذ من الإنسانية كلها مجالاً لعمله . . إنه ينظر إلى الإنسانية كلها نظرة إجمالية شاملة . . حتى إذا كان يكتب في موضوع محلي . . أو موضوع موقوت بزمن مخصوص . . إنه لا يحصر نفسه في طبقة بعينها من طبقات المجتمع لا يتعدها إلى طبقة غيرها . . وهو لا يؤثر الشواذ يكتب عنهم ويصف

ما يمارسونه من تلك الحياة الشاذة الحيوانية ، التي لا تحفل بالمبادئ أو الشرائع أو القوانين أو الأديان أو التقاليد أو ما تواضع عليه المجتمع من تلك القيود التي يفرضها الذوق العام وآداب اللياقة .

إن الكاتب الواقعي لا يحصر نفسه في هذا المجال الشاذ الضيق الذي يحصر فيه الكاتب الطبيعي نفسه ، ويقف عليه أدبه وقلمه . . . وبينما نجد الكاتب الواقعي يحمل رسالة وله فلسفة . . . وبينما نراه لهذا السبب يفلسف ويحلل ويعلل ويعلق ويبشر بفكرة عامة غالبية في القصة أو المسرحية التي يكتبها . . . وبينما نراه يختبئ وراء شخصياته المختلفة المتنوعة التي منها المتعلم ومنها الجاهل ومنها الفيلسوف ومنها الأمي . . . يختبئ وراءهم ليتكلم بألسنتهم ويفكر بعقله هو لا بعقولهم ، بينما يصنع الكاتب الواقعي هذا ، نرى الكاتب الطبيعي أشبه بـ كاميرا — أو آلة التصوير التي لا تنقل لك إلا ظاهر ما تقع عليه عدستها نقلاً مجرداً من أى تدخل من جانبه . . . نقلاً صامتاً لا يتغلغل بك إلى ما وراء الصورة . . . ومن هنا نرى الكاتب الطبيعي شخصاً مختفياً تمام الاختفاء في آثاره الأدبية . . . إن شخصيته لا يكاد يظهر لها وجود في تلك الآثار . . . إنها شخصية لا تكاد تشعرك برسالة أو فلسفة أو فكرة معينة . . . وهو لذلك لا يحلل ولا يعلل ولا يعلق ولا يفلسف ، ولا يختفى تحت ألسنة شخصياته التي يتركها سائبة

سائمة في بيئتها، تغلب عليها الحياة الغريزية الفطرية الغالبة على الناس في البيئات الفقيرة الحقيرة ، التي تعصف بها العلل الاجتماعية والأمراض النفسية ، أو البيئة البورجوازية التي مسختها الثروة وغلب عليها الغرور ، وأتاح لها المال أوقات فراغ طويلة لا تدرى كيف تنفقها إلا في المهاترات والتباهى بالمظاهر الفارغة والغرور الباطل والتمتع بألوان الصبوة والتردى في غياهب الخيانات الزوجية ، والتكاثر بالأموال والأولاد ودس الدسائس وحبك المؤامرات . . . إلى آخر هذه السلسلة الطويلة من الآفات التي تفشو في المجتمع الغنى المثرى الذي جاءته الثروة جزافاً وفي غير كثير من المشقة ولا طويل من الكدح .

فهذا هو الكاتب الطبيعي وهذا هو مجاله ، وهذه هي طريقته . . . إنه يتوخى أكثر ما يتوخى هذه البيئات الممثلة بالعلل وألوان الشذوذ يعرضها عليك عرضاً لا يتدخل هو فيه إلا نادراً وإلا من بعيد . . . وهو لذلك لا يعنى مطلقاً بالحبكة المسرحية ولا برسم عقدة قصته أو مسرحيته . . . بل هو لا يعنى بأن تحمل قصته أو مسرحيته فكرة عامة فيها من ألوان الصراع ما يبهرك ويمسك عليك أنفاسك . . . فكرة يحاول هو أن يقيم الدليل على صحتها ، ومن ثمة يبشر بها ويحلل ويعمل . . . لا . . . إنه لا يصنع شيئاً من ذلك ، لأن هذا هو ما يعملهُ الكاتب الواقعي . كاتب الواقع لا كاتب

الطبيعة . . كاتب الواقع الذى تحولت إليه الطبيعة بعد الذى أخضعها له المجتمع من تقاليد وآداب وشرائع ، وأدخله عليها من تعليم وتهذيب وحضارة وفلسفات . . ومن ثمة تبدلت فطرتها وأصبحت شيئاً شديداً الاختلاف مما نشأت عليه قبل ذلك كله .

والكاتب الطبيعى من أجل ذلك يكبر من شأن البيئة ومن شأن الوراثة . . أما البيئة فقد رأينا كيف يتخير موضوعاته من ألوان شذوذها ، وإن ابتعد فى تخيره هذا عن الغالبية العظمى من البشر ، غير المصابين بتلك الألوان من الشذوذ والخروج على العرف . وأما الوراثة فالكاتب الطبيعى يؤمن إيماناً جازماً بأن العرق دساس ، وأن الأبناء يولدون وقد ورثوا ميراثاً ثقيلاً فادحاً عن آبائهم . . ميراثاً أخلاقياً وسلوكياً يوجههم كما كان القدامى يؤمنون بسلطان القضاء والقدر . . والكاتب الطبيعىون يسرفون فى إيمانهم بسلطان الوراثة إسرافاً شديداً . . ولعلمهم فى إسرافهم بالإيمان به أشد من القدامى فى إيمانهم بالقضاء والقدر . . إن هذا الإيمان يجعل اليأس يدب إلى قلوبهم ، فهم قانطون من الإصلاح يائسون من العلاج ، لا يرون أملاً فى شفاء هؤلاء الضحايا من علمهم الأخلاقية التى ورثوها عن آبائهم ولا ذنب لهم فيها . ولسنا ندرى ماذا يكون مصير هذه الطبقات البائسة الشقية إذا صدقت نظرة هؤلاء الطبيعيين فى سلطان الوراثة ، بل لسنا

ندرى كيف تحضر الإنسان ومارس العلوم والفنون وألوان الثقافات ، وكيف خرج من طور الحيوانية البدائية فارتقى وتهذب ، إن كان سلطان الوراثة هو هذا السلطان الذى يؤمن به الطبيعيون ؟

٥ - هؤولاء وهؤولاء تأثر موم . . وإن ذهب بعض النقاد أو أكثرهم إلى أن تأثره بالطبيين كان أشد . . سواء فى قصصه أو فى مسرحياته .

على أن مما لا شك فيه أن لغز هؤولاء وهؤولاء أثرا عظيم العمق بعيد المدى فى موم . . لقد تأثر فى فرنسا بشيخ كتابها فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . . الكاتب الساخر الأشهر أناتول فرانس . . مؤلف « تاييس » و « الزنابق الحمر » و « ثورة الملائكة » و « الآلهة عطشى » ، و « جريمة سلفستر بونار » و « جزيرة البنجوين » . . إلخ . لقد عاش أناتول طوال حياته يسخر من الناس ويكفر بهم وبأديانهم ويصورهم فى قصصهم منافقين مرايين مخادعين ، يعنون بالمظهر أضعاف ما يعنون بأرواحهم ، ويهتمون بإشباع شهواتهم أضعاف ما يهتمون بمعنوياتهم . . وقد كان موم - الذى يصغر أناتول بثلاثين عاماً - يلتهم قصص الكاتب الفرنسى التهاماً ، ويعيش فيها ويتأثر بها ويؤمن بكل ما يقوله فيها . . . حتى كاد يسير على نفس الدرب الذى شقه أناتول فرانس حينما تفرغ للكتابة . . . وقد نشأ مثله

ساخرأ بالناس فى كل مكان ، متشائماً من مستقبلهم ، ولم يجد خيراً من الطبقة البورجوازية - ولا سيما الإنجليز والأمريكيين من أسر هذه الطبقة وأفرادها - يشويها على نار سحرية ويندد بها ويفضحها ، ويفضح الامبراطورية كلها معها ، ويصورهم تافهى الأحلام مرآتين منافقين عبيداً لشهواتهم ، يهتمون بألوان كراسى صالوناتهم أضعاف ما يهتمون بتربية أبنائهم أو تلقينهم المثل العليا . . . ينفقون أوقاتهم فى سياسة استعباد الشعوب والتقلب فى مناصب الحكم فى المستعمرات التى نكبت بنفوذهم ، ولا يكادون يخصصون من وقتهم ذاك شيئاً للجد من أمور الفكر أو الفن أو القضايا الإنسانية العليا . . . إن قسيسهم شر من طرطوف وألعن من بافنوس (بطل تاييس) وسياسيهم رجل مدهن مرء لا هم له إلا النجاح فى الانتخابات ليصل إلى كرسى البرلمان ، ومن كرسى البرلمان إلى كرسى الوزارة ، ومن كرسى الوزارة إلى توزيع الأسلاب والمغانم ، ومناصب الحكم فى المستعمرات على الجهلة والأدعياء من أذنا به ومن هتفوا له طويلا فى المعركة الانتخابية .

٦- وتأثر موم كذلك بالكاتب البولندى القصاص الأشهر « جوزيف كونراد » (١٨٥٦ - ١٩٢٤) . . ذلك الذى لم يكن يعرف الإنجليزية فأكب عليها حتى أتقنها ، وأصبح يمارس كتابة قصصه بها بأسلوب حلو جميل ، فتن به الإنجليزية

أنفسهم . . ولعل هذا هو الذى لفت إلى الكاتب نظر موم . .
موم الذى راح يتعلم الإنجليزية — لغة بلده — كما تعلمها هذا
الكاتب البولندى الأجنبى . . بل لعل حب موم لكونراد هو
الذى أغراه بالرحلة إلى ما وراء البحار كما ارتحل كونراد . .
وإلى الشرق الأقصى بالذات . . ذاك الشرق الذى كتب
كونراد أبدع قصصه عن أهله وعن بحاره وجزائره . . وقد
جرى وراءه موم خطوة فخطوة . . وقلده فى كثير من هذه
القصص بما نشتمل عليه من أوصاف وفلسفات وسخریات .

٧- — وبمن تأثر بهم موم أيضاً « روبرت لويس
ستيفنسون » (١٨٥٠ — ١٨٩٤) . . ذلك القصاص الآفاقى
جواب البحار والفلوات الذى قرأنا ورأينا من قصصه فى
السينما الدكتور جيكل والمستر هايد وجزيرة الكنز وغيرهما . .
لقد كان ستيفنسن مغرمًا بالرحلة هو أيضاً ، مولعًا
بالمغامرات البحرية ذات الخطر ، أو المغامرات الروبسنكروزية
كما كان يسميها ، نسبة إلى روبنسون كروز بطل قصة ديفو
المشهور . وإذا كان موم قد هام غراماً بكتاب ألف ليلة
وليلة كما ترجم من العربية ، فقد كان كتاب ستيفنسن
« الليالى العربية الجديدة » من أحب الكتب إلى نفسه كذلك ،
بل لعله هو الذى أوحى إليه بقراءة ألف ليلة وليلة .

٨- — وثمة كثيرون ممن تأثر بهم موم . . لكن هؤلاء الذين
ذكرناهم هم الذين ألهبوه وعلموه ، وعندهم تلقن خفة الروح

والسهولة واليسر . . كما تلقن عنهم موهبته الكبرى التي يبرها كثيرين من كتاب القصة وكتاب المسرحية على السواء . . أما هذه الموهبة فهي براعته التي لا تفوقها براعة في رسم الشخصيات . . ثم الإيجاز المانع الجامع القاطع في سوق الحوادث بتلك الطريقة التي يكتفى فيها بكلمات قلائل تجيء عرضاً ، فإذا هو قد سرد لك الحادثة التي ربما استغرقت من غيره صفحات و صفحات .

٩ - على أن كثيرين من مؤرخي موم لا يضعونه في مدرسة أدبية بعينها ، ولا يضيفونه إلى رجال مذهب بذاته . . ولعلمهم معذورون في هذا . . فالرجل متعدد الجوانب جم الإنتاج . . وما قولك في رجل ظل يمد المسرح من سنة ١٩٠٢ إلى سنة ١٩٣٧ بمسرحية أو مسرحيتين أو ثلاث مسرحيات كل عام . . وهو مع ذلك لا يمتنع عن كتابة القصة التي هي ميدانه الأول . . . وكانت تظهر له بالإضافة إلى مسرحياته قصة طويلة في المتوسط كل عام في هذه الحقبة نفسها ، حتى انقطع لكتابة القصة بعد سنة ١٩٣٧ .

١٠ - وبالرغم من ذلك فهناك من يضيفون موم إلى مدرسة كتاب الملاحى في فترة عودة الملكية Restoration ، وإلى الكاتب الفكاهى ويكرلى Wycherley بالذات . وفترة عودة الملكية هذه هي تلك الفترة التي أعقبت فترة الكومون ولث (١٦٤٩ - ١٦٦٠) التي ساد فيها حكم

الطهرين Puritans وأعلنت الجمهورية في إنجلترا بزعامة
الطاغية كرومويل . . وقد كان الطهريون هؤلاء من التزمت
وضيق الأفق بحيث أغلقوا أبواب المسارح الإنجليزية كلها
بحجة منافاتها للأخلاق ومجافاتها لروح الدين ، ولأنها مباءات
للشياطين ، فلما انتهى عهدهم وعادت الملكية ، وعاد إلى
إنجلترا الملك شارل الثاني أمر بإعادة فتح المسارح . . وراح
يفقد على مسارح اللهو الملكية ما تعدى حدود الإسراف إلى
حدود السفه . . . ولما كان الملك نفسه رجلاً خليعاً تحيط به
حاشية ملكية خليعة ، فقد نفقت سوق الملهاة الخليعة المترفة
وأصبحت لها الصدارة بين الألوان المسرحية التي ظهرت في
تلك الفترة في المسارح الملكية . ومن أهم تلك الألوان المأساة
التي كان يجري فيها جون دريدن في غبار شيكسبير والتي برز
فيها توماس أوتواي Th. Otway إلى آفاق لا بأس بها . .
كما ظهر في ميدانها كتاب آخرون . . ثم لون آخر . . هو
مسرحيات البطولة . . وعجيب أن يظهر هذا اللون في عصر
محروم حرماناً تاماً من البطولة . .

ونعود إلى ملهاة فترة عودة الملكية فنقول إن كتابها ،
بل كتاب جميع الألوان المسرحية في تلك الفترة لم يكونوا
ينشدون بكتابتهم مثلاً علياً مسرحية تتحكم فيها أذواقهم ،
ويأملون بها أن تخلد أعمالهم وأسمائهم في سجل الخلود ، بقدر
ما كانوا يتوخون إرضاء الملك الخليع الداعر وشفاء نفوس

من حوله من حاشيته المترفة المسرفة . . ولهذا فقل أن تجد في ملامى هذه الفترة ملهاة يعنى كاتبها بفكرة المسرحية، أو بأن يهدف بها إلى مغزى أخلاقى أو اجتماعى، أو أن يضمها فلسفة واضحة معينة . . إن الذى كانوا ينشدونه جميعاً هو لإضحاك الملك الخليع وحاشيته التافهة . . ومن ثم راجت ملامى المواقف والملامى السلوكية، واشتهر من كتابها چون دريدن أيضاً ثم توماس شادول Th. Shadwell ثم آفرا بهن Aphra Behn — أفحش كتاب تلك الفترة وصاحب أبشع سلسلة من الملامى الشهوانية — ثم كتاب وكاتبات آخرون من طرازه . . ومن كتابها الفكهين السلوكيين الذين عنوا عناية عظيمة برسم شخصياتهم وجعلها مصدراً للفكاهة ومثاراً للضحك النظيف نوعاً ما السير « جورج لاثردج » G. Etherege زعيم هذه الطائفة والذى شق لها طريقها . . ثم ويكرلى Wycherley ثم كونجريف Congreve — وهو أعظمهم . . وغيرهم وغيرهم . . .

أما « وليم ويكرلى » الذى يقولون إنه أكبر كتاب فترة عودة الملكية أثراً فى موم — وإن كان الأرجح أن موم تأثر بهم جميعاً — فقد كان ينزع إلى فلسفة أخلاقية خفيفة فى هذا الجو الإباحى العاصف الذى كان يعيش فيه ، كما كان ينزع فى ملاميه نزعاً بنائية لإنشائية لم ينزعها أحد من كتاب الملامى فى تلك الفترة ، وإن يكن أسلوبه اللغوى الذى ساقه

فى ملاهيه أسلوباً حوشياً خشناً لا يتفق وجمال هذه الملاهى ،
ولا يتفق وتلك البشاشة والرقه التى كان يمزق بها أثواب الرىاء
عن أوجه أهل زمانه ، وما كان يفصح به مخازيهم ويسم به
منكراتهم ويصور به تفاهاتهم . . والحقيقة أنه فى هذا كله
أستاذ موم الذى لم ينس أن يغترف من بحار الآخرين .

* * *

وبعد ، فهذه هى الخطوط العامة التى لا يمكن أن نفهم
بها « ولیم سومرست موم » إلا إذا وعيناها وجعلناها فى
بالنا . . . نشأته . . وحياته ومقومات ثقافته . ثم المدارس
المذهبية التى تركت أثرها فيه ، ثم كبار كتاب القصة وكبار
كتاب المسرحية الذين جرى موم فى غبارهم . . . ولعل كثرة
تلك المدارس وكثرة هؤلاء الكتاب الذين تركوا آثارهم فيه
هى التى جعلته كاتباً منوعاً لا يكاد الناقد يعرف إلى أى
المدارس الأدبية يضيفه ، ولا إلى أى المذاهب ينسبه .

وقد كتب موم من سنة ١٩٠٢ إلى سنة ١٩٣٧ سبعة
وعشرين مسرحية كلها ملاء خفيفة إلا بعض المأسى التى
منها The Sacred Flame التى تقتل بطلها المعذب أمه ، ومنها
أيضاً مأساة For Services Rendered تلك الميلودراما التى
جعل المؤلف أقوى شخصية فيها تنتحر فى آخر المأساة .

لقد كان موم يدور فى معظم قصصه ومسرحياته حول
الحب الخائن الآثم والصبوة الزوجية ونفاق رجال الدين ، الذين

لا يلبث تدنيهم يزلزل زلزاله أمام ابتسامة واحدة من أنثى . .
 فينسبون الله وملائكته ورسله وكتبه وزواجره ونواهيه . .
 ولم يكن يعنى قط بفلسفة اجتماعية يدعو إليها ويبشر بها ،
 أو يعالج مشكلات الحياة المعقدة التي لا نهاية لها ولا يمكن
 أن تقع تحت حصر . . . ولم يكن في معظم هذه القصص
 والمسرحيات يزيد على ما يفعله الفنان الذي يعطيك لوحة
 جميلة بارعة تخلب اللب وتستلفت الأنظار . . لكنها لا تكاد
 تتصل بالحياة العامة ولا شأن لها بقضايا الإنسانية ومشكلاتها
 الكبرى . . وهو بالرغم من ذلك الكاتب الساخر الحلو الدعابة
 المغرم بالأمثال وجوامع الكلم والأقوال الحلوة التي تضحك
 لها النفس وتفكر فيها ، ثم لا يلبث الإنسان أن يدرك أنه من
 صاحبها أمام مصور فنان ، وقف في بحر الحياة المصطخب يرسم
 منه لوحات ساخرة متهمكة يضحك فيها على الناس ويستهزئ
 بسخافتهم ويبرز لهم حماقاتهم ، ثم يضعها لهم في معرض كبير
 ضخم هو تلك القصص وهذه المسرحيات . . تماماً كما كان
 يصنع الفنانون من زعماء المذهب الطبيعي ولا سيما تولستوى
 وهاويمان وجوركى . . وكما كان يصنع كتاب فترة عودة
 الملكية في إنجلترا وفي مقدمتهم ويكرلى - ثم لاثردج
 وكونجريف وفنبره وفركهار وشادول . . أولئك الذين لم يكن
 لهم هم إلا تضحيك حاشية المالك الخليع بعد الكبت الطويل
 الذي ذاقوه على أيدي الطهرين السخفاء المتزمتين . . والذين

كانوا يتخذون نماذجهم من أفراد تلك الحاشية نفسها - رجالا ونساء - يرسمون منهم لوحاتهم ثم يعيدون عرضها عليهم لكي يقولوا لهم : اضحكوا أيها البلهاء على مخازيكم ! وهذا هو الذى كان يفعله موم . . وكان يفعله بهذه الطبقة نفسها تقريباً . . هذه الطبقة من ذوى الصدارة وأهل العلية الذين كانوا زملاءه فى عهد الطب عقب أن جاء من فرنسا ليلتحق بالمدارس الإنجليزية ، فسخروا منه وضحكوا عليه ولم يحفلوا ببيته ، وهم الكلاب التى تلبس أطواق الذهب وتتحدى بالجواهر ، وتأكل البسكوت وتتقلب فى المصايف العالمية ، وتنعم بالمناصب الكبرى وبالجاه والسلطان. وأسلاب الإمبراطورية ، فإذا جشتم لم تجد عندهم شيئاً . . غير السراب وغير الجهل . . وغير الغرور والكبرياء الفارغة . . إنه اليوم يسخر منهم ويضحك عليهم ويزرى بهم . . إنه يرسم فيهم لوحاته ليضحك الدنيا بأسرها على الأحلام الفارغة التى تحكم الإمبراطورية وتتحكم فى مصائرنا ، وبالتالى فى مصائر البشرية التى سلطهم شيطان الاستعمار والديمقراطية الحمقاء عليها .

وهذا واضح وضوحاً سافراً فى هذه الملهة التى يعدها كثيرون آية موم الكبرى . . هذه الملهة - الدائرة - التى كتبها سنة ١٩٢١ - أى بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها بثلاث سنين ، وكانت بريطانيا فى ذلك الحين فى

أوج سلطانها واستعبادها للشعوب التي نكبت بشيطان
استعمارها ، وبانزغم من ذلك لم ينطل هذا المجد الفارغ والرواء
التافه على موم ، فرغ كرامة الإمبراطورية في التراب ،
وصور بأسلوبه الفكه اللادع كيف كانت هذه الإمبراطورية
تحكم ، وكيف كانت أمورها تساس ، وكيف كانت عشيقة
السياسى الكبير تصبو بنظرها إلى حكم الهند ، ولا ترضى
بأن تحكم أستراليا الغربية . . . وكيف كانت موائد البردج
أهم في نظر الساسة من حضور جلسات البرلمان ، تماماً كما فاز
إيدن برئاسة الوزارة لأنه فقط زوج بنت تشرشل ! !

إن مسرحيات موم تكاد تخلو من القصص إلا نادراً ،
ومعظمها مسرحيات مواقف يشحنها الكاتب الفكه بما يشاء
من السخرية بتلك الإمبراطورية الهرمة ، والزراية بتلك الطبقة
التافهة من حاملى الألقاب رجالا ونساء . . وموم يكاد يتبع
نظام الكتاب الكلاسيين فى معظم مسرحياته . . إذ يأتي
المسرحية من نهايتها أو مما يقرب من تلك النهاية ، ثم يعرض
قصة الماضى كله فى أثناء الحوار . . . ومن ثمة يلاحظ أن
كثيراً جداً من تلك المسرحيات يبدأ ثم ينتهى فى أثناء زيارة
أو اجتماع عند أحد الأطراف المشتركة فيها .

وهذه المسرحية من هذا القبيل . . . فهى تبدأ وتنتهى
فى إحدى الزيارات التى جمعت شمل المشتركين فيها جميعاً . .
فيها نقد كثير لأوضاع الحياة حول فكرة عابرة .

إنها قصة زوجة (كيتى) فرت فى إبان حياتها الزوجية
مع عشيق لها (پورتيوس) بعد أن كانت تحيا حياة سعيدة
هائلة مع زوجها الأول (كلايف) الذى أنجبت منه ولداً
لطيفاً (أرنولد) تركته لأبيه فى الخامسة من عمره لتنعم بغرامها
الجديد فى كنف عشيقها الجديد . . ثم يمضى على هذه الصبوة
ثلاثون عاماً . . ويكبر الطفل ويصبح رجلاً . . ثم يتزوج
. . ثم تحضر أمه لزيارته ومعها عشيقها (!) . . ويكون هناك
زائر شاب (تدى) من رجال الأعمال لا يكاد يرى
(إليزابث) زوجة صديقه (أرنولد) حتى (يستلطفها !)
وحتى تقع هى فى غرامه . . فيتفقدان على أن يكون كل منهما
للآخر . . ولكن الزوجة تصارح أرنولد بهذا الحب فلا
يغضب ولا يثور وإن ناقشها طويلاً فى أسباب ذلك ، وحاول
مستثيساً أن يثنىها عن الإقدام على تلك المخاطرة . . . لكن
إليزابث تصر . . ولا يرى أرنولد إلا أن يوافق مرغماً على
فراقه منها . . ثم هو يضع باسمها فى البنك بالرغم من ذلك
ألفين من الجنيهات (لكنى تحافظ على مستوى المعيشة الذى
تعودته مع أرنولد وهى تعيش مع صديقه تدى هذا العامل
البائس الفقير الذى يكدح ويريق عرقه ليعيش !) .

ويكاد هذا الموقف من أرنولد يثنى عزيمة إليزابث عن
الفرار مع تدى . . ولكن تدى - رجل الأعمال ، أو الرجل
العملى - يعيدها إلى صوابها ، وينصحها بطريقة عملية بالألا

تفقد حبها الجديد كما فقدت سعادة قلبها قبل ذلك وهى فى
كنف أرنولد الذى لم تحبه قط ، والذى لم يكن زواجها منه
إلا زواج مصلحة .

وفجأة . . تقبل إليزابث . . ويقبل تدى . . وتفر معه
اليوم إلى الشرق الأقصى ، إلى الملايو ، كما فرت اللىدى
كىتى (أم أرنولد) مع اللورد پورتىوس قبل ثلاثين عاماً .
فهذه هى الحادثة . . أو هو هذا الموقف . . ولا يمكن أن
يسمى قصة . . الذى استغله موم ليجعل منه إطاراً لمسرحية
فكهة من أطرف مسرحيات اللمز والسخرية برجال
الإمبراطورية وسيداتهما ، وتصوير العقلية البائسة التى تعيش
بها تلك الطبقة التى اتخذ منها موم لعبته طوال حياته .

والمعروف عن موم أنه ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، من
أهم الكتاب المسرحيين فى تصوير شخصياته تصويراً لا
افتعال فيه ولا تعمل بالرغم من صنعتته المسرحية المفرقة التى
يفرضها عليه منهاجه الكلاسى فى الكتابة .

والشخصيات المهمة فى هذه المسرحية ست شخصيات .

أربعة رجال وسيدتان . . والرجال هم :

١ - كلايف تشامپيون ، والد أرنولد وزوج اللىدى

كىتى التى تركت هذا الزوج الطيب ، لأن اللورد پورتىوس
هام بها حباً فأثرتة على زوجها وفرت معه لينشئ له جنة
فى فلورنسة - عروس المدن الإيطالية - بينما يسهر كلايف على

تربية ابنه أرنولد الذى كان لا يزال طفلاً فى الخامسة من عمره حينما تركته أمه . . ثم لا يتزوج أبداً كى يكرس حياته لهذا الابن الذى كبر اليوم وتزوج وأصبح من رجال السياسة المحترمين الذين يشار إليهم بالبنان . . ويفضل أبوه كلايف أن يعزل الحياة فى كوخ قريباً من مسكن أرنولد . . وقد كان فى رحلة إلى باريس حينما عاد لورد پورتىوس - سارق زوجته - ومعه كيتى من فلورنسة لزيارة انجلترا . . ولما علمت إليزابث بذلك أشارت على زوجها أرنولد بدعوتها إلى زيارته تكريماً لوالدته ، فإذا اعترض أرنولد بأنه لن ينسى لهذه الأم ما فعلت به وبأبيه وما أوقعت بهما من الضرر فى محيطهما السياسى قالت له : « لعلك لا تدري أن المرأة قد تغلب عليها عاطفة الأمومة فتكون أما أولاً . . وقد تطفى عليها أنوثتها فتكون أنثى قبل كل شئ . . إن غرام والدتك ليثيرنى ويشجبنى . . وإذا كانت قد أحبت ذلك الرجل كل ذلك الحب فأى عجب فى أن تضحى باسمها ومركزها وطفلها من أجله ! !

وهذه إجابة تصور لنا إليزابث نفسها قبل أن تصور لنا والدة أرنولد .

على أن أرنولد يطيع زوجته ويدعو أمه وعشيقها پورتىوس . . ولكن كلايف والد أرنولد يصل فجأة من باريس ، ويحضر حفل الاستقبال . . ويلقى زوجته كيتى . .

أم ابنيها أرنولد . . كما يلقي عشيقها وصديقه القديم اللص
لورد پورتوس . . فماذا يكون من هذا اللقاء ؟ لا شيء . .
وأرجو أن تذكر أن نحوه الرجل في نفس كلايف . . وفي
نفس أرنولد . . وفي نفس پورتوس أيضاً . . قد وضعت في
ثلاجة . . بل وضعت في مستودع من جليد القطبين الشمالى
والجنوبى وأقطاب الكواكب السيارة كلها . . وكيف تكون
في نفس كلايف نحوه ، وهو رجل يقضى حياته كلها في
لعبة البردج . . وهو يصل من باريس ويلقى إليزابث زوجة
ولده فلا يكاد يعرف من هي . . ثم يقدمان إليه (تدى)
صديقهما والحبيب الموعود لإليزابث فيبادره بالسؤال أول
ما يراه : « أتجيد لعب البريدج ؟ » هكذا بلا مناسبة ؟ !

ونحن ندرك من حديث بين إليزابث وبين كلايف أنه
كان سكرتيراً برلمانيا لهورتوس ولعل هذه الصلة هي التي
أوقعت كيتي في غرام هذا الصديق الذي كان أقرب إلى
منزلة الرئيس لزوجها الذي لا يفتنه شيء مثل لعب البريدج !
ثم هو يلقي زوجته القديمة في دار ابنيها أرنولد وهي
الدار نفسها التي تعاشر فيها خمسة أعوام طوال والتي تركها
الآن لولده . . والدنيا لا تدور برأسه حينما يرى زوجته مع
عشيقها في دار ابنيها . . لا . . لا . . إنه رجل وديع كالحمل .
إنه يجلس ليلعب معهما البريدج . . ويسامرهما ، وكأن شيئاً
لم يحدث . . أبداً . . أبداً ! إلا أننا نراه ينطق بالحكمة أحياناً ،

ولا سيما وهو يستنتج العبر مما أسفر عنه ذلك الغرام الآسن
بين كلايف وبين كيتي . .

ثم هو يشير بحكمته هذه على ابنه أرنولد حينما تصر زوجته
على تركه والذهاب إلى الملايو مع حبيبها الجديد . . ولكن
مشورته . . إلى أين تنتهى وعلام تسفر ؟ ١

٢ - ولعل الشخصية التى تلى شخصية كلايف هى
شخصية اللورد پورتوس - أو هيو جى كما تدلله كيتي -
ذلك الذى يصفه كلايف فيقول : « إنه كان يوماً ما ألمع شباب
انجلترا ، وأن كل إنسان كان يتوقع له أن يصبح رئيساً
للوزراء . . فاذا صار إليه الآن ؟ . . لقد أصبح مخلوقاً
شرساً متهدماً يستخدم أسناناً صناعية ! . . . إنه لا يرى
إلا وهو مخمور محطم البنيان ، بعد أن كان شاباً وسيماً حسن
المنظر وفارساً لا يشق له غبار ، كما كانت له جاذبية خاصة
بقوامه الممشوق وبنيانه الرشيق ومنظره الأنيق » . . هذا
الخالن الذى اختاره كلايف ليكون إشبين ولده أرنولد فسرق
أم أرنولد . . . إنه فر من حياة إنجلترا كلها بعد أن زكت
فضيحتة الأنوف ، فسافر ليقم في فلورنسا بين موائد البريدج
وبين الغانيات الفلورنسيات . . أجل بين الغانيات الفلورنسيات
. . . فقد كانت كيتي وحدها لا تشيع نهمة . . هذا الرجل
الذى بلغ من سلطته قبول دعوة أرنولد ابن كلايف والمقيم
في منزل والده . . ليذهب إليه في صحبة كيتي الزوجة

المخطوفة . . والأم القدرة لم تكن تحمل يوماً ما قلباً نقياً أو
كبدا حرى !

٣ - أما الشخصية الثالثة ، وإن بدت أنها بطل الملهاة ،
فهى شخصية أرنولد . . أرنولد عضو البرلمان الإنجليزى
الذى لا يهمه فى هذه الدنيا إلا مظهر بيته وإلا الشقشقة فى
البرلمان وفى المحافل بما لا يدين به من أقوال أو أفعال . هذا
الرجل الذى يشترى الآثار ويقتنى الغرائب . . فإذا قال له
لورد هورتيوس - عشيق أمه - إن كرسيّاً من الكراسى التى
اشترها ليس أثرياً ، وأنه مقلد زائف ، دارت الدنيا برأسه
وأخذ يرجع إلى كتب الآثار المعتمدة ليتحقق من أن كرسيه
أثرى ولا شك فى هذا . . أرنولد هذا . . يترك زوجته لتلاعب
صديقه « تدى » التنس بتلك الملابس القصيرة الرشيقة فلا
تكون النتيجة إلا أن تتكرر المأساة القديمة ، وينمو حب جديد
فى نفس الدار . . بين الزوجة الشابة الجميلة التى أهملها زوجها
ثلاث سنوات طوالاً ، دون أن يفرغ لها مرة ودون أن يوليها
من العناية جزءاً من مائة جزء من عنايته بالعاديات والكراسى
الأثرية ، والشقشقة فى جلسات البرلمان وفى الندوات الفارغة
التافهة . أرنولد هذا الذى يقف الموقف الذى أشرنا إليه مع
والدته يعود فيقف نفس الموقف مع زوجته الشابة الجميلة
اللعب التى نام عنها فسرقتها منه صديقه الذئب « تدى » .
ولعل سخرية موم كلها تركزت فى هذا الموقف الأخير

بين أرنولد وبين زوجته التي جاءته ترجوه أن يبدأ هو بطلب الطلاق منها حتى يخلو لها وجه صديقه . . . فإذا نحن نرى أرنولد لا يثور ولا يفور ، وإن حاور وداور ثم يستسلم آخر الأمر كما تستسلم النعجة ، وليس كما يستسلم التيس . . وإذا هو يرق رقة متناهية فيعرض أن يضع باسم زوجته ألفين من الجنيهات ، اتحافظ بالمبلغ على مستوى الحياة الذي تعودته في بيته ؟ ! فإذا عارضت أرغمها على القبول . .

إن بعض النقاد اتخذوا في ذلك التصرف من أرنولد ، وزعموه تصرفاً إنسانياً لا يصدر إلا عن الملائكة . . ولا نريد نحن أن ننخدع كما انخدع هؤلاء . . فنتلف الصورة الساخرة التي رمى إليها موم . . موم الذي تعد مخزئته من الطبقات الأرستقراطية ومحدثي النعمة من الطبقة البورجوازية حسنته الكبرى . . موم الذي لم يكن رومنسياً قط ، والذي تتلمذ على كتاب المذهبين الطبيعي والواقعي ، وعلى مدرسة كتاب الملاهي في فترة عودة الملكية عامداً متعمداً ، لكي يحسن الانتقام من هذه الطبقات المذكورة بتصويرها بتلك الصورة المخزية التي تقذف بنواحي الضعف فيهم على المسرح أو في ثنايا القصة قذفاً . ومن ثمة يجب ألا نعد ما بدا من أرنولد في هذا الموقف من الإنسانية في شيء . . بل هو إيغال من موم في السخرية بهؤلاء البورجوازيين الذين يقفون في مواقف الشرف هذا الموقف الطرى الرطب المخزي . . يقفه مرة تلقاء

أمه وعشيقها ، ومرة تلقاء عرضه وامراته وصديقه اللص
الذى حل عليه ضيفاً فغازل زوجته ثم سرقها كما سرق
پورتيوس أمه من قبل .

٤ — أما الرجل الرابع فى الملهاة فهو « تدى » . . إنه
الشخصية الإيجابية الفعالة الوحيدة فى المسرحية كلها . . . إنه
كما وصف نفسه لإليزابث وهو يغريها بالفرار معه إلى
الملايو ، حيث التعب والضنى : إننى رجل أعمال . . أنهمين
ما هو رجل الأعمال ؟ الرجل الذى ينسى العواطف وقت
الجد . . أنا لا أجد المطارحات الغرامية . . أنا أحبتك وأنت
أحببتى . . . إذن . . . إنتهينا . . لماذا تعيشين فى قفص مع
هذا الزوج الذى لا تحبينه ؟ يجب أن تضعى الموضوع كله بين
يديك لترى الفوائد والأضرار من فرارك معى وحياتك
إلى جانبي . . . أريدك أن تفهمى أننى لم أحبك لأنك جميلة
جداً . . . كلا . . . فلو كنت عجوزاً شمطاء لأحبتك أيضاً
بمثل القوة التى أحبك بها الآن . إني أحبك أنت ، ولست
أحب شكلك أو مظهرك . . وإلا فليذهب مثل هذا الحب
إلى الجحيم !

فإذا بكت إليزابث قال لها من باب الغزل العملى أيضاً :
لعنة الله عليك لا تبكى ! ألا تتركين لى فرصة أعرض فيها
الأمر عليك بعقل ، وبعيداً عن هذه العواطف ؟ ثم يقول لها :
إننى رجل أعمال عادى جداً . . . ولا أملك « شلناً » غير الذى

أكسبه بعرق جبينى .. ولا مركز لى فى المجتمع .. لأننى لا
 شىء .. أما أنت فغنية، ولك مركز الاجتماعى الممتاز ..
 ولكنى أفضل لك أن تتركى هذا كله، وتجيئى معى إلى الملايو
 حيث السعادة العملية وحيث القلب الذى يحبك ، وحيث
 تتعلمين أشياء أخرى لم تتعلمها هنا ... فإذا لم تكونى راغبة
 فى الحجى معى، فقولى هذا الآن ودعيني أرحل من فورى ..
 فإذا أعلنت أنها تحبه وأظهرت شيئاً من فورة العاطفة
 الغرامية قال لها : يا لك من عاطفية لعينة ! هيا .. إننى
 سأعلمك الصيد فى الملايو .. إنك لا تدركين جمال القيام
 فى الفجر والسير خلال الغابة ومداعبة الوحوش والموت !
 هذه شخصية دافقة بالحياة . شخصية « إدوارد لوتن » الذى
 يصغرونه فيقولون (تدى) كما يصغرون كل شخصية فى
 المسرحية إلا شخصية إليزابث .. أجمل فتاة فى الرواية !
 إنه فى نظر أرنولد فتى عابثا شديد الاستهتار .. إن لم يكن
 ماجناً وخليعاً ... فهل هو كذلك ؟

* * *

أما الشخصيات النسائية فأهمهن شخصية كيتى (الليدى
 كاترين تشامبيون شينى) .. ثم شخصية إليزابث . أما
 الشخصيات الأخرى فن الأدوات المسرحية التى لا غناء عنها
 مع تفاهتها .

أما كيتى فهى تلك السيدة التى كانت يوماً ما زوجة

المستر كلايف ووالدة أرنولد ، والتي كانت أجمل فتيات
المجتمع الإنجليزي - في زمانها - وهى اليوم بالرغم من مرحها
عجوز تصبغ شعرها باللون الأحمر وتفرق وجهها بالمساحيق .
إنها الزوجة الحسنة التى ضحت بزوجها وطفلها فى سبيل
الحب الذى كانت محرومة منه فى بيت الزوجية . . . ولسنا
ندرى أى حب هذا الذى ينزع الأم من ولدها بعد خمسة
أعوام من عمره ليعيش مجروح الكرامة طول حياته ، شاعراً
بالخزى فى المحافل السياسية ، لا سيما بعد أن أصبح عضواً فى
البرلمان .

لقد ذهبت كيتى هذه ؛ مع عشيقها الذى حطمت حياته
السياسية ، ومستقبله . . . وهو الرجل الذى كان الجميع
يوثمنون بأنه موشك أن يكون رئيساً للوزارة البريطانية . .
ذهبت معه ليعيشا فى فلورنسة الإيطالية ، حيث الدفء ،
وحيث الناس يقبلون هذه الأوضاع ، والعلاقات الشخصية
على علاقتها . . . لأنهم قوم كما تقول كيتى لا يهمهم إلا أن
يتزلفوا إليك فيحسنوا الزلفى لكى تنفجهم وتغدق عليهم ،
ولكى يتباهوا بأنهم أصدقاء اللورد والليدى وجلساؤهما .

وكيتى هذه تعرف طبيعة المرأة معرفة تامة ، كما تعرف
دفائن قلوب الرجال ، إنها تعرف أن الحب الخالص النقي
أسطورة كبيرة . . . وأن الرجل لا يشبع من الحب ، ولا
يوثمن على الوفاء . . . حتى إذا فرت معه حبيبته من زوجها

ومن ولدها . . ولهذا فهي لم تترك فرصة واحدة بعد أن تقدمت بها السن ، وأخذ الشيب ينتشر في رأسها ، وتجاعيد العمر تذهب بوسامة وجهها . . لم تترك لزوجها فرصة واحدة ليرى أنها شاب ، وأن الفتنة التي سحرتة يوماً فضحى من أجلها بحياته السياسية وبمستقبله قد ولت ، أو أنها في طريقها إلى الدبول . . ومع هذا فقد كانت تؤمن بأن اللورد يحونها . . وأنه وإن أصبح عجوزاً مهتماً أصابع لا يكاد يفيق من الخمر يصبو ، ويغازل ، ويشترى الهدايا الثمينة للكواكب الأتراب . . كيتي تعرف هذا كله . . ومع ذلك فهي تبخله وتغض الطرف عنه . إن فيها من « تدي » أثراً عملياً . . واسمع إليها وهي تنصح إليزابيث بعد أن عرفت أنها تحب رجلاً غير أرنولد - ابنها - وأنها مزمنة أن تفر معه كما فرت هي مع پورتيوس من قبل !

« كيف يمكنك الاستقلال بنفسك في هذه الحياة والاعتماد على مجهوداتك ؟ قد تحسبن أنني امرأة تافهة حمقاء . ولكن . . لا . . إن الحياة قد لقنتني دروساً قاسية لن أساها . إن في وسع الناس أن يضعوا من القوانين والتشريعات ما يشاؤون - وفي وسعهم أن يعطونا حق الانتخاب ، لكنك إذا تأملت وجدت أن أعباء نفقات الحياة تقع على كاهل الرجال . . ومن هنا يجب أن تكون لهم اليد العليا والكلمة المسموعة . . إن المرأة لن تصبح مساوية للرجل

إلا إذا تمكنت من كسب عيشها بالطريقة نفسها التي يكسب بها الرجل عيشه .

« إن الطاهية التي تزوج طاهياً يمكنها أن تقف منه على قدم المساواة لأنها تكسب من المال ما يكفيها . . . ولكن المرأة التي في مركزك وفي مركزى يجب أن تعتمد اعتماداً كلياً على الرجل الذي تعيش معه طول عمرها .

« وإذا كنت تعزمين العمل والكدح في الحياة إذا عشت مع « تدى » فماذا تعزمين أن تكوني ؟ ممرضة ؟ كاتبة على الآلة الكاتبة ؟ إن هذا كله باطل وقبض الريح . . . إن المرأة إذا عودت حياة الدعة لم تصلح بعدها لشيء . . . فقد سمم اللهو والراحة حياتها وسرياً في دماؤها . . . إني ليحزنني يا إليزابث أن أراك مقدمة على الغلطة نفسها التي ارتكبتها أنا من قبل . . . انظري إلى يا إليزابث . . . ثم انظري إلى پورتيوس . . . أتخسبن أن هروبنا معاً كان عملاً صائباً ؟ . وهل تعتقدين أننا لو أمكننا أن نعود إلى شبابتنا ، أكنت أقدم على هذا الجنون الذي ارتكبت ؟ أو كان پورتيوس يرضى بأن يتكرر هذا الجنون ؟ ! آه ما كان أقسى مقاطعة الناس لي وأمر نظراتهم إلى بعد تلك الفضيحة وقبل أن نفر إلى فلورنسا ! . . . إنك يا عزيزتي إليزابث لا تدركين أهمية الزواج لنا معاشر النساء . . . إنه حصننا الأمين المكين الذي نلجأ إليه ليحمينا ويظلمنا . . . وإن الجاهلات الغبيات منا هن اللاتي

يعبئ برباط الزواج المقدس ! ألا كم كانت الكنيسة بعيدة
النظر في موقفها من الزواج والمتزوجين ، وأن يكون الزواج
عهداً لا يحل ولا ينقسم ! ! »

إن الإنسان لا يكاد يصدق أذنيه وهو يسمع هذا الحوار
الطويل العميق اللطيف بين كيتي وبين إليزابث . . إن الزمن
هو الذى يتحدث بلسان كيتي ذات التجربة . . . أما إليزابث
فتتحدث بلسان الفتاة العصرية ولسان الثورة الاجتماعية .
والشخصية المهمة الثانية هى شخصية « إليزابث » . .
ومعظم النقد يقدمونها على شخصية كيتي . . وهم يقولون :
إنها وإن لم يكن لها عقل كيتي فإن لها إرادة أقوى من إرادة
« كيتي » . . . ثم هى لم تقع فى غلطة « كيتي » كاملة . . لقد
فرت « كيتي » من زوج عاشرته ست سنوات ، وأنجبت منه
طفلاً تولت تربيته والسهر عليه خمس سنوات . . ثم هى قد
فرت مع رجل قد يغرى المرأة جاهه ومنصبه السياسى
وثروته الكبيرة ولقبه بالفرار . . . أما إليزابث فقد أحببت
(من غلبها !) كما يقول العامة عندنا . . لقد أهملها زوجها
المغرم بالعاديات وبالشقشقة فى دنيا السياسة . . ثم هى قد
أحبت أول طارق دق على باب قلبها الجائع الظامئ العريان . .
وهى لم تعاشر أرنولد إلا ثلاث سنوات ، ولم تنجب منه
طفلاً . . لماذا ؟ إن بعض النقاد الحبياء يستنتجون من ذلك

نتائج خبيثة يرمون فيها أرنولد بتهم شتى . . . والمعتدلون منهم يعزون عدم إنجاب الأطفال إلى ما أدركته إليزابث من أنها لا تحب هذا الزوج السياسى العادى الثافه ، فأثرت ألا تنجب منه أطفالا حتى لا ترتبط به إلى الأبد . . . وإن لم يحل هذا العامل دون هروب كيتى . . . لاختلاف الظروف والمؤثرات .

هذا وقد كانت إليزابث لا تنفك تذكر حادث هروب كيتى ، لأنها أم زوجها . . . وكانت لا تنفك تفكر فى هذا الحادث تفكيراً عميقاً . . . ولعله بدأ من الليلة الأولى من زواجها . . . ولعل هذا أيضاً هو الذى جعلها تصر على أن يدعو أرنولد أمه وعشيقها لذلك الحفل الذى أزمع لإقامته فى داره . . . فلماذا كان هذا الإصرار ؟ ألا أنها أحبت « تدى » من النظرة الأولى ، أو لأنها أدركت أن هذا الحب سوف يكون له شأن آخر ، وأنه يجب ألا يقف عند حدود الغزل والنظرات والآهات الرومنسية . . . أو الخيانات الزوجية ؟ . . .

وإليزابث كانت فتاة فقيرة لا تملك ثروة غير جمالها وحيويتها . . . لكنها كانت أمينة وفية لزوجها هذا الثافه . . . ولم ترد أن تقع فى غلطة كيتى . . . فتفر مع « تدى » كما فرت « كيتى » مع « پورتىوس » فتحطم حياة أرنولد وتلوث شرفه وتهدر كرامته وسمعته كما صنعت « كيتى » . . . لهذا ذهبت إلى « أرنولد » لتصارحه بالموقف كله ، ولترجوه

هو أن يكون البادئ بطلب الطلاق . . لمصلحته لا لمصلحتها .
وهي تصر على هذا الموقف إزاء أرنولد . . ولا تكاد تضعف
إلا عند ما يرغمها على قبول وضع ألفين من الجنيهات باسمها
في البنك . . إلا أنها لا تكاد تبدى عن ضعفها ذاك لحبيبتها
« تدى » حتى يوقظها من غفوتها بطريقته العملية التي أسلفنا
الكلام عنها .

ولإليزابيث في هذه المسرحية مواقف كثيرة ، فمنها . .
ولعله أولها . . موقفها مع « تدى » حينما كانت تلاعبه
التنس . . وحينما أحس كل منهما أن حياته كانت صحراء
قبل أن يلتقيا . . وحينما استيقظ في قلبيهما الحب لأول مرة
في تلك الحياة البقع التي كانت أشد ما تكون حاجة إلى
رشفة واحدة من المطر ، فاذا وابل بأكمله يسقط من السماء
الرحيمة فيروى ظمأها !

ومنها موقفها مع « أرنولد » وهي تحاول أن يغفر لأمه
غلطتها القديمة حينما غلبها الحب على أمرها (!) لأنها أنثى
قبل كل شيء . .

ومنها موقفها من كلايف - والد زوجها - وهي تمهد
لإخباره بنبا قدوم زوجته كيتي مع عشيقها پورتيوس لحفلة
اليوم . . . في دار أرنولد . . ابنه . . وابن هذه الزوجة التي
حبت والتي تلتمس لها الأعذار عن تلك الغلطة القديمة . .
ومع ذاك فقد نجحت في ترويض كلايف . . لا سيما بعد أن

جلست على فخذه (!) تداعبه . . وتوقظ في قلبه ذكريات
حبه القديم لكي !

ثم موقفها الثانى مع « تدى » وهى تبدى له تخوفها من
حبهما . . . فاذا هو يشجعها على هذا الحب بنقده الحياة فى
انجلترا ، وما آلت إليه الحياة فيها من تكلف وصنعة وسخف
وتقاليد عتيقة بالية . . . وإقناعها بأن الحياة فى الملايو غير
ذلك . . إنها حياة الطبيعة والتحلى من التقاليد . . ثم مصارحتها
بحبه . . واقتراحه أن تفر معه !

ثم موقفها من كلايف وهو يهاجم زوجته القديمة « كيتى »
قائلا : « يا عزيزتى إن نفسها مثل وجهها ماطخة بالأحمر
الكثيف الزائف . . وعواطفها كلها رياء ونفاق لا إخلاص
فيه . . مجرد مظهر براق كاذب كله خداع . . انظرى إلى
أى درك هبطت إليه ، وجرت إليه زوجها هذا اللورد
المسكين ! . . . » .

إنها تتحداه وتلمس الأعداء للمرأة التى توشك هى أن
تفعل فعلتها ، فتقول له : « ومن يدرى أن مصيرها كان هو
نفسه هذا المصير لو أنها بقيت لك زوجة ؟ . . على كل حال
لقد أحبت ، وأحبت حباً شديداً . . وأنا لا أملك إلا أن
أعطف عليها . . وإذا كانت قد هرمت فقد هرمت أنت أيضاً
واتخذت أسناناً صناعية ! »

ولا تبالى حينما تكتشف أنه كان يعينها هى بالذات بكل

ما كان يقوله ، لأنه أدرك أنها تحب رجلاً غير ولده أرنولد . .
وهنا تقرر نهائياً الاستجابة لما يطلبه منها « تدى » .
ثم موقفها من « تدى » وهو يفشل فشلاً ذريعاً في
مطارحتها الغرام ، وسرورها بهذا الفشل . . ولعل السر في
إعجابها به أنها « شبعت عواطف » كما يقولون . . . لقد
كانت تتلقى لعنات « تدى » فرحة بها مسرورة وكأنها أشعار
روميو !

ثم أعظم مواقفها مع أرنولد . . حينما ذهبت ترجوه أن
يطلق سراحها ، ويدعها تمضى لحال سبيلها ! ! أى صراحة
أعظم من صراحة « إليزابث » وهى تقول لأرنولد : « لقد
مضى على زواجنا ثلاث سنين ، وبكل أسف أسفرت
التجربة عن أن زواجنا كان زواجاً فاشلاً ولا توفيق فيه . .
وبكل صراحة يا أرنولد لقد سئمت نوع هذه الحياة التى
حييتها معك والتى تريد استمرارها » .

ثم هى تكاد تحتقره حينما يفلت لسانه بقوله : إن سبب
إبقائه عليها كزوجة هو ألا تتعرض عضويته فى البرلمان للخطر
بسبب الفضيحة التى يحدثها طلاقهما » .

وفى الحديث بينها وبين كيتى تكرر هذا المعنى . . كما
تكرر إصرارها على مفارقتها .

وموم على تنوع شخصياته هذا التنوع هو موم الذى لا
لا تتغير نظرتة إلى الرجال كما لا تتغير نظرتة إلى النساء . .

إنه هو هو في هذه المسرحية كما هو هو في أشهر مسرحياته التي ارتفعت إلى مستوى عالمي ، واشتهرت شهرة كبيرة وبخاصة في إنجلترا وأمريكا . . . وليت هذا المشروع العظيم الذي تنهض إليه وزارة الثقافة لنقل روائع المسرحيات العالمية يدخل في برنامجه ترجمة الكثير من مسرحيات موم وعلى رأسها :

1) The Constant Wife

2) Our Betters

* * *

وبعد فهذه مقدمة توخيت أن تشتمل على دراسة لموم تقرأ قبل قراءة المسرحية ، وعرض ودراسة للمسرحية يحسن أن تقرأ بعد الفراغ من قراءتها . . وذلك لأن قراءة مسرحيات موم أصعب بكثير جداً من قراءة قصصه . . لأنها مسرحيات كتبت لترى على خشبة المسرح ولم تكتب للقراءة ومن هنا صعوبة فهمها وتحصيل مادتها .
أطال الله عمر موم ، فليس كثيراً أن يعيش إلى اليوم ستاً وثمانين سنة . . ولن يشبع الأدب منه .

دريفي خشبه

(١٩٦٠)

شخصیات المسرحية



کرمی ادوارد لویتن
شیک های آرمنلر و سرپرست
پالیزاکی فریج آرمنلر



الیزابت

آدرمنلر تشامپیون - تشینی
مقامی مجلس المردم - ایدو کاپوت و منج ایلیزاک

لورده پورتیوس
زیرج کپلی جانو و کد فریت مد



کلمنیک تشامپیون - تشینی
داد آرمنلر - وندرج کپلی ساسا



لیدی کیتی سارین تشامپیون تشینی

مسنر تشامپیون - ایدو کرمی - سرکچس کرمی



الفصل الأول

”تجربى حوادث المسرحية“ في
”أستون - آدى“ منزل أرنولد تشامبيون -
تشينى في مقاطعة ”دورست“

المنظر

حجرة جلوس فخمة في آستون - آدى ، أناثها
من . طراز عهد الملك جورج ، وتغطي جدرانها الصور
الجميلة . وآستون - آدى ليس منزلاً ، ولكنه مكان يفخر
به صاحبه ويهتم به ، فكل ما في الحجرة يمت إلى ذلك العصر
ومن خلال أبواب الشرفة في آخر الحجرة تظهر الحديقة
الجميلة التي تمثل أحد معالم هذا المكان . الوقت صباح يوم
صيف جميل .

يدخل « أرنولد » وهو رجل فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمره طويل القامة ، حسن المنظر ، أشقر الشعر « وله وجه » دقيق التقاطيع ينم عن إحساس مرهف ، كما أن نظرتة تدل على الذكاء والفطنة إلا أن الحيوية تعوزها . . . ثم إنه أنيق الملبس جداً .

أرنولد : [منادياً] الزابث ! . [ثم يذهب إلى الباب الزجاجى وينادى ثانية] الزابث ! [يرق الجرس وأثناء انتظاره ينظر حوله فى الحجرة ثم يغير وضع أحد الكراسى تغييراً طفيفاً جداً كما يمسك بتحفة من على رف الموقد وينفخ التراب عنها] .
[يدخل الخادم]

جورج ! حاول أن تجد مسز تشينى واطلب منها أن تتفضل بالحضور إلى هنا .

الخادم : حسناً جداً يا سيدى [ثم يستدير الخادم للخروج]
أرنولد : من هو المسئول عن العناية بهذه الحجرة ؟
الخادم : لست أدرى ، يا سيدى .
أرنولد : كم أرجو منهم عندما ينظفون هذه الحجرة ، أن يهتموا بوضع الأشياء فى المكان نفسه الذى كانت فيه قبلاً .

الخادم : أجل . يا سيدى .

أرنولد : [يومئ له بالخروج من الحجرة] حسناً .

[يخرج الخادم ويذهب أرنولد ثانية إلى باب الشرفة وينادى] .

أرنولد : اليزابث ! [ثم يرى مسز شنستون أنا] أوه أنا
الأتعرفين أين اليزابث ؟

[تدخل مسز شنستون من الحديقة وهى سيدة فى الأربعين من عمرها باسمه الوجه أنيقة الملبس] .

أنا : إنها تلعب التنس أليس كذلك ؟

أرنولد : كلا . لقد كنت الآن فى ملعب التنس . لقد
حدث شىء مزعج .

أنا : أوه

أرنولد : إني لأعجب بحق الشيطان أين هى ؟

أنا : متى تتوقع قدوم اللورد پورتوس والليدى
كيتى ؟

أرنولد : لانهما فى الطريق إلينا بالسيارة وسيصلان
قبل موعد تناول طعام الغداء .

أنا : أوافق أنت من أنك تريد منى البقاء هنا ؟
إن الفرصة لم تضع بعد كما تعلم . ففى
إمكانى حزم حقائبي واللدحاق بالقطار للسفر
إلى مكان . . ما .

أرنولد : نحن نرغب فى بقائك بكل تأكيد فإن وجود
الناس معنا هنا ، سيسهل لنا الأمر كثيراً . .

قد كان فضلامك أن تأتي لزيارتنا .

أنا

: أوه ! هذا كلام لا معنى له .

أرنولد

: كما أنني أرى أن وجود تدي لوتن معنا

شيء جميل حقاً .

أنا

: إنه شخص مرح يملأ المكان بحيويته أليس

كذلك ؟

أرنولد

: أجل . إن حيويته هي ميزته الكبرى فهو

ليس ذكياً كما تعلمين ؛ ولكن هناك ظروفاً

يحتاج المرء فيها إلى أمثاله من المنطلقين

المستهترين . لقد أرسلت أحد الخدم ليبحث

لى عن اليزابث .

أنا

: لعلها الآن تغير حذاءها فلقد ذهبت مع

تدي لتلاعبه التنس .

أرنولد

: إن تغيير الحذاء لا يتطلب منها كل هذا

الوقت الطويل .

أنا

: [بابتسام] لن تستطيع تغير حذاءها دون أن

تعيد النظر فى استكمال زينتها [تدخل اليزابث

وهي مخلوقة جميلة جداً فى أوائل العشرين من عمرها

وتلبس رداء صيفياً خفيفاً] .

أرنولد

: أوه يا عزيزتى . . لقد بحثت عنك فى كل

مكان . . . ماذا كنت تفعلين ؟

- إليزابيث : لم أكن أفعل شيئاً !
- أرنولد : إن أبى هنا .
- إليزابيث : [مأخوذة] أين ؟
- أرنولد : فى الكوخ . . لقد وصل ليلة الأمس .
- إليزابيث : يا للجنة !
- أرنولد : [مداعباً] أرجو ألا تقولى ذلك يا إليزابيث .
- إليزابيث : إذا أنت لم تقل يا للجنة عندما يكون الشئء ملعوناً فتى إذن تقولها ؟
- أرنولد : كنت أتوقع أن تقولى يا للمضايقة ! أو أى كلمة أخرى تشبهها أو مرادفة لها .
- إليزابيث : ولكن تلك الكلمة لا تعبر عن حقيقة إحساسى . . وزد على ذلك أنك أنت نفسك فى خطابك يوم كنت توزع الجوائز قلت إن اللغة الإنجليزية ليس فيها مترادفات .
- أنا : [باسمة] أوه يا إليزابيث ! ليس من العدل أن تتوقعى أن يعيش رجل السياسة فى حياته الخاصة طبقاً لتصريحاته التى يدلى بها أمام الجماهير .
- أرنولد : إنى أرغب دائماً فى التمسك بكل ما أقوله ، وفعلاً لا توجد مترادفات فى اللغة الإنجليزية
- إليزابيث : فى هذه الحالة أرى نفسى مضطرة للأسف

لأن أقول يا للجنة كلما شعرت بالحاجة إلى قوتها.

[يظهر إدوارد لوتن عند الباب الزجاجي وهو شاب جذاب] .

تدى : هاى ... هل نسيم التنيس .

إليزابث : تعال نحن فى مشادة .

تدى : [قادماً] عظيم جداً ! وعم تتشاحنان ؟

إليزابث : عن اللغة الإنجليزية .

تدى : بربك لا تخبرينى بأنك كسرت قواعد اللغة !

أرنولد : [وهو شبه عابس] أرجو أن تدعى المزاح

جانباً يا إليزابث فالوقوف غير سار بالمرة .

أنا : أرى من الأفضل لتدى ولى أن نبتعد عن هنا .

إليزابث : هذا عبث ؛ فكلانا له دوره فى الموضوع ،

وإذا حدثت أية مضايقات فإننا سنكون فى

حاجة إلى تشجيعكم المعنوى لنا ومن أجل

ذلك قد طلبنا منكما المحي .

تدى : لقد كنت أظن أنى دعيت من أجل زرقة

عيونى

إليزابث : يا للحيوان المغرور ! إن لون عينيك بنى .

تدى : هل حدث شئ ؟

إليزابث : لقد وصل والد أرنولد فى الليلة الماضية .

تدى : هل وصل حقيقة؟ يا للهول . . لقد كنت

أظنه في باريس .

أرنولد : لقد كنا جميعاً نعتقد ذلك . لقد أخبرني أنه سيبقى في باريس حتى الشهر القادم .

أنا : وهل قابلته ؟

أرنولد : كلا ! لقد تحدث إلى في « التليفون » .

من فضل الله أن يكون في كوخه تليفون فإنه لو جاء إلى هنا فجأة لأوقعنا في حيرة وارتابك لا حدّ لها .

إليزابث : وهل أخبرته أن الليدى كاترين سوف تحضر ؟

أرنولد : كلا بالطبع ! فلقد صعقت عندما علمت بوجوده هنا ثم إنني فضلت أن نبحث الأمر معاً أولاً .

إليزابث : وهل هو قادم إلى هنا ؟

أرنولد : نعم لقد عرض على ذلك ولم أجد عذراً . أمنعه به من القدوم .

تدى : ألا يمكنك تأخير الآخرين عن الحضور ؟

أرنولد : إنهم آتون بسيارتهم ، وقد يصلون في أية لحظة ولم يعد في الإمكان الاتصال بهم .

إليزابث : زد على ذلك ، منهم من الحضور سيكون في منتهى الوحشية وقلة الدوق .

أرنولد : لقد كنت أدرك أنه من السخف دعوتهم

لزيارتنا هنا ولكن إليزابث أصرّت .

إليزابث : ورغم كل ما تقول فهى أملك يا أرنولد .

أرنولد : إنها لم ترع حرمة الأمومة فى الماضى حينما

تركتنا وهربت وأظنك لا تتوقعين مبنى أى

اهتمام بشأنها الآن .

إليزابث : لقد حدث ذلك منذ ثلاثين سنة ومن العبث

أن تظل تحقد عليها بعد هذه السنين الطويلة .

أرنولد : إنى لأحقد عليها ولكن الحقيقة التى

لا زالت قائمة هى أنها أوقعت بى من الأذى

ما لن يمكن إصلاحه إننى لأجد لها

أى عذريبرر فعلتها .

إليزابث : وهل حاولت أن تجد لها هذا العذر ؟

أرنولد : يا عزيزتى إليزابث لا جدوى من إعادة

المناقشة فى هذه المسألة ؛ فالحقائق واضحة

كالشمس ؛ فلقد كان لها زوج يعزها ،

ومركز اجتماعى ممتاز ، وتحت يدها من

النقود ما يزيد عن حاجتها كما أن لها طفلاً

فى الخامسة من عمره ، ورغم كل ذلك فقد

هربت مع رجل متزوج .

إليزابث : إن اللبىدى پورتىوس لم تكن سيدة جذابة

جداً يا أرنولد [تخاطب أنا] أتعرفينها ؟
أنا : [مبتسمة] لعل كلمة « منفرة » هى التى
تقصدينها على ما أظن ؟

أرنولد : إذا كنتم تريدون التهمك والسخرية فليس
لدى ما أضيفه إلى ما قلت .
أنا : إلى آسفة يا أرنولد .

إليزابث : ما دامت أملك قد أحببت فن الجائز أنها لم
تقدر أن تملك من أمر نفسها شيئاً .

أرنولد : ألم يكن لديها . أى إحساس بالشرف
أو بالواجب أو بالاحتشام ؟ يا لله ! أجل .
إذا فقد الإنسان هذا الإحساس هان عليه
كل شئ .

إليزابث : ليست هذه طريقة لائقة تتحدث بها عن
أملك .

أرنولد : إننى لن أستطيع أن أعتبرها كأمى .

إليزابث : إن كل ما تأخذه عليها وما لا تنسأها لها أنها
لم تفكر فيك كابن . لعلك لا تدري أن
المرأة قد تغلب عليها عاطفة الأمومة ، فهى
أمٌ أولاً ، وقد تطغى عليها الأنوثة فهى أنثى
قبل كل شئ ، إن غرامها يبعث الإثارة
فى نفسى ، وإذا كانت أملك قد أحببت ذلك

الرجل إلى هذه الدرجة فلا عجب إذا
ضحكت باسمها ومركزها وطفلها من أجله .

أرنولد : لذلك لا تتوقعي أن مثل هذا الطفل يشعر
بأى حب للأم التي عاملته هذه المعاملة .

إليزابث : كلا ! إنى لا أنتظر منه أن يحبها ؛ ولكنى
أرى أنه من دواعي الأسى والأسف
ألا يزول الجفاء بينهما بعد كل هذه السنين .

أرنولد : من العسير أن تدركي معنى أن أشب وأكبر
تحت ظل هذه الفضيحة المروعة ، ففي كل
مكان : في المدرسة وفي جامعة أكسفورد
وفي لندن بعد ذلك ، كان يشار إلى دائماً كأبن
الليدى كيتي تشينى . . . أوه ! لقد كان
ذلك قاسياً مروعاً !

إليزابث : أجل إنى أدرك كل ذلك يا أرنولد لقد
كان الموقف فى منتهى الفظاعة بالنسبة لك .

أرنولد : إن الفضيحة فى حد ذاتها كانت فى غاية
السوء إلا أن مركز الناس الذين ذُكر اسمهم
فيها ضاعف من شناعتها عشرات المرات —
لقد كان أبى عضواً فى مجلس العموم وكذلك
كان پورتىوس قبل أن يرث لقب
لورد — كان پورتىوس وزيراً للخارجية

ورجلاً مرموقاً جداً في أعين الناس عامة .

أنا

: لقد كان والدي يقول دائماً إن پورتیوس

أقدر رجل في الحزب ، وكل إنسان كان

ينتظر أن يصبح رئيساً للوزراء .

: لك أن تتخيلي إذن كم أتاحت هذه الفضيحة

أرنولد

فرصة للشعب البريطاني لم ينعم بمثلها منذ

أجيال . لقد أصبحت أحب الأغاني إلى

الشعب وأكثرها انتشاراً تدور حول أمي .

ألم تسمعي بها ؟ « إن ليدي كيتي الشريرة

ظنت أنه من دواعي الأسى »

: [مقاطعة] أوه ! أرنولد بربك كفي .

إليزابث

: وبرغم كل ذلك فلم يعطوا الشعب فرصة

أرنولد

لينسي فضيحتهم . فلو أنهم عاشوا بهدوء

في فلورنسا ، ولم يثيروا ضجة لهدأت العاصفة

وماتت الفضيحة ؛ ولكن قضايا الطلاق

المستمرة بين اللورد والليدي پورتیوس أبقت

على الفضيحة في أذهان الناس .

: بخصوص أي شيء كانت هذه الإجراءات

ندی

القضائية ؟

: لقد طلق والدي زوجته بطبيعة الحال ،

أرنولد

ولكن الليدي پورتیوس رفضت أن تطلب

الطلاق من زوجها ، ولهذا أراد أن يجبرها
على طلب الطلاق منه فرفض أن يعولها كما
طردها من بيته ، وأوقع بها الكثير من
المضايقات ولذا كانا دائمي النزاع في ساحات
القضاء .

أنا : أعتقد أن هذا تصرف فظيع من الليدى
پورتىوس .

أرنولد : لقد كانت تعلم أنه ينوى الزواج من أمى ؛ ولذا
كانت تكره أمى ولا يلومها إنسان على ذلك
أنا : لقد جعلت الحياة قاسية جداً عليهما .

أرنولد : أجل ! وهذا سبب سكناهما فى فلورنسا
فپورتىوس رجل غنى ، وهناك وجدوا من
الناس من يقبلون الوضع على علاته .

إليزابث : وهذه هى أول مرة يحضران فيها إلى إنجلترا .
أرنولد : إن والدى يجب أن يحاط علماً بذلك
يا إليزابث .

إليزابث : أجل .
أنا : [مخاطبة إليزابث] ألم يذكر لك أى شىء
مخصوص الليدى كيتى ؟

إليزابث : أبداً .
أرنولد : لا أظن أن اسمها قد جرى على لسانه منذ

أن هربت من هذا البيت منذ ثلاثين سنة .

: وهل كانا يعيشان هنا ؟

تدى

: بالطبع . لقد دعوا بعضاً من الأصدقاء

أرنولد

بضعة أيام في المنزل ، وذات ليلة لم تنزل

والدتي ولا اللورد پورتيوس لتناول طعام

العشاء ، ورغم أن باقي الضيوف قد طال

انتظارهم لها إلا أنهم لم يدركوا حقيقة

ما حدث إلا عندما أرسل والدي رسولا

إلى حجرة والدتي فوجد رسالة منها تركتها

مثبتة في وسادة الدبابيس .

: [في ابتسامة باهتة] : هذا ما كانوا يفعلونه

إليزابث

في العصور المظلمة .

: إني أعتقد أن والدي قد كره هذا البيت منذ

أرنولد

تلك الليلة الرهيبة ، فلم يسكن فيه ثانية

أبداً ، وعندما تزوجت تنازل لي عنه ،

أما هو فقد بنى لنفسه كوخاً في أملاكه

القرية من هنا يأتي إليه حينما يرغب في ذلك .

: لقد كان ذلك من حسن حظنا .

إليزابث

: إني مدين بكل شيء لوالدي ، وإني لأعتقد

أرنولد

أنه لن يغفر لنا دعوتنا لهؤلاء الناس للقدوم

إلى هنا .

- إليزابث : سأخذ اللوم كله على عاتقى يا أرنولد .
- أرنولد : [بقلق] إن مجيئهما فيه حرج جداً لى ، على أية حال فلست أدرى كيف يجب على أن أعاملهما ؟
- إليزابث : ألا ترى أن المشكلة ستحل نفسها عندما تشاهدهما ؟
- أرنولد : على كل حال هم ضيوفى ، وسأحاول أن أتصرف التصرف اللائق برجل مهذب راق فى منزله .
- إليزابث : فى منزله الذى لم تدخل فيه وسائل التدفئة الحديثة ! !
- أرنولد : [متجاهلاً كلامها] : ترى هل تتوقع منى الليدى كيتى أن أقبلها ؟
- إليزابث : [مبتسمة] : بكل تأكيد .
- أرنولد : إن الناس المتدفقى العاطفة يسببون لى قلقاً دائماً .
- أنا : ولكن لا يمكننى أن أفهم لماذا لم ترها أبداً من قبل .
- أرنولد : أعتقد أن أمى حاولت رؤيتى عندما كنت صغيراً ؛ ولكن والدى رأى أنه من الأفضل ألا تفعل ذلك .

- أنا : حسناً ! ولكن عندما كبرت ؟
- أرنولد : لقد كانت دائماً في إيطاليا ، وأنا لم أذهب قط إلى هناك .
- إليزابيث : يخيل إلى أنه من المحزن حقاً أنكما إذا تقابلتما في أحد الشوارع فلن يتعرف الواحد منكما على الآخر .
- أرنولد : وهل هذه غلطتي ؟
- إليزابيث : لقد وعدتني أن تكون رقيقاً معها عطفواً عليها .
- أرنولد : لقد كان الخطأ في دعوة پورتينوس للحضور أيضاً . إننا تصرفنا كما لو كنا قد تجاوزنا عن كل ما حدث وغفرناه لهما . وإني لفي حيرة كيف يجب على أن أعامله ؟ هل أمد له يداً بالسلام وأربت بالأخرى على ظهره لقد حطم حياة والدي تماماً .
- إليزابيث : [مبتسمة] : كم تدفع في حادثة سيارة مفاجئة تمنعهما من الحضور ؟
- أرنولد : لقد تركتكم تعملين ضد رأيي ، وتدعينهما لزيارتنا ، وها أنا لازلت نادماً على ذلك .
- إليزابيث : [بدعابة] : من حسن الحظ وجود أنا وتددي هنا ، فأنا لا أتوقع أى نجاح لحفلنا .

أرنولد : سأبذل كل جهدى . لقد وعدتك ، وسأبتر
بوعدى ، أما عن والدى فلست مسئولاً عنه .

أنا : ها هو والدك قد حضر .
[يظهر المستر تشامبيون تشينى عند أحد الأبواب
الزجاجية المطلة على الشرفة]

كلايف تشينى : هل أستطيع الدخول من باب «الفراندة» أم
يجب أن يعلن قدومى خادماً رذل متغطرس ؟

إليزابث : تفضل بالدخول . لقد كنا نتوقع مجيئك .
كلايف تشينى : بفارغ الصبر يا عزيزتى !!! أمل ذلك .

[مستر تشامبيون تشينى رجل طويل فى أوائل الستين
من عمره ، دب الشيب فى رأسه ، تدل ملامح وجهه
على الذكاء والزهد . أنيق جداً فى ملبسه يستغل كل
ما حوته الطبيعة به من مزايا . جم النشاط رغم كبر
سنه . يقبل إليزابث ثم يمد يده ليحيى أرنولد] .

إليزابث : لقد كنا نعتقد أنك ستقضى شهراً آخر
فى باريس .

كلايف تشينى : كيف حالك يا أرنولد ؟ إنى دائماً أحتفظ
لنفسى بحق تغيير رأيى ، لأنها الميزة الوحيدة
التي يشترك فيها عجائز الرجال مع السيدات
الجميلات .

إليزابث : أظنك تعرف أنا .
كلايف تشينى : [مسلماً عليها] طبعاً أعرفها . إن من دواعى

سرورى أن أراك هنا . . هل ستمكثين
طويلاً ؟

أنا : سأطيل البقاء بقدر الترحاب الذى ألاقه .

إليزابث : وهذا هو مستر لوتن .

كلايف تشينى : تشرفنا ؟ هل تلعب البريدج ؟

لوتن : أجل .

كلايف تشينى : أرى أنك شاب طيب .

لوتن : ولكنى فقير ، شأنى فى ذلك شأن معظم الناس
الطيبين .

كلايف تشينى : لا يهملك الفقر ما دامت مبادئك قوية .

أرنولد : وهل تنوى البقاء معنا طويلاً يا والدى ؟

كلايف : حتى أتناول معكم طعام الغداء إذا سمحتم
لى بذلك .

[ينظر أرنولد إلى إليزابث فى ارتباك ظاهر] .

إليزابث : سيسعدنا ذلك جداً .

أرنولد : لم أكن أقصد ذلك يا والدى ، فلا شك

فى أنك ستبقى معنا حتى تتناول طعام الغداء .

ولكنى قصدت سؤالك عن المدة التى تنوى

أن تمكثها معنا هنا .

كلايف : أسبوع .

[تسود فترة صمت يبدو فيها كل شخص مخرجاً

مرتباكاً إلا كلايف تشامبيون تشينى] .

تدى : أرى أنه من الأفضل إلغاء مباراة التنس .
إليزابث : أجل ! خاصة وإنى أرجو من صهرى
العزیز أن يخبرنى عن أحدث الأزياء
فى باريس هذه الأيام .

تدى : سوف أذهب لأضع مضارب التنس فى مكانها
[ثم ينصرف تدى] .

أرنولد : إن الساعة قد قاربت الواحدة يا إليزابث .
إليزابث : لم أعرف أن الوقت متأخر إلى هذا الحد .
أنا : [إلى أرنولد] : ألا تحب أن تتجول معى

فى الحديقة بعض الوقت قبل الغداء ؟
أرنولد : [مرحباً بالفكرة] : كم يعجبنى ذلك يا أنا .
[تخرج أنا من باب الشرفة ويتبعها أرنولد ثم يقف
مترددًا] .

إلى : أريد منك أن تفحص هذا الكرسي
الذى أشتريته ، أليس جميلاً ؟

كلایف : مدهش .
أرنولد : لقد صنع فى سنة ١٧٥٠ وتصميمه جميل
أليس كذلك ؟ إنه فى حالة جيدة ولم تمتد
إليه يد الإصلاح منذ صنعه .

كلایف : جميل جداً .
أرنولد : ألا ترى أنه صفقة رابحة ؟

كلايف : يا ابني العزيز ، إنك تعلم أنني أجهل هذه الأشياء كل الجهل .

أرنولد : كلى ثقة في أنه صنع سنة ١٧٥٠ . سأراك على مائدة الغداء يا والدى .

[ثم يتبع أنا من باب الشرفة الزجاجى]

كلايف : من هذا الشاب يا إليزابث ؟

إليزابث : إنه مستر لوتن . لقد سرح من الجيش منذ

عهد قريب ، وهو الآن مدير لمزرعة مطاط

في ولايات الملايو المتحدة . لقد تطوع

في بداية الحرب ، وها هو راجع ثانية إلى

وظيفته في الملايو .

كلايف : ترى لماذا تركنا الجميع بمفردنا بهذه الطريقة المكشوفة ؟

إليزابث : هل تركنا بمفردنا حقيقة؟ إلى لم ألاحظ ذلك .

كلايف : أظنه من الصعب على الشاب أن يدرك أن

الإنسان قد يكون كهلا دون أن يكون غيباً .

إليزابث : لم يخطر على بالي مطلقاً ، فكلنا يعلم أنك

في منتهى الذكاء .

كلايف : ويجب أن يعتقدوا ذلك ، فطالما رددت

الأمر بنفسى . . أتشعرين بشيء من

الاضطراب ؟

- إليزابث : دعنى أجس نبضى [ثم تضع أصبعها فوق معصمها]
 إن نبضى منتظم تماماً .
- كلايف : عندما عرضت عليكم البقاء معكم ؛ لتناول
 طعام الغداء ظهر الامتعاض على أنزولد وكأنه
 يغافى من شرب جرعة من زيت الخروع .
- إليزابث : ألا تتفضل بالجلوس ؟
 كلايف : وهل سيسهل ذلك عليك مهمتك ؟ إفى
 متأكد أن لديك أخباراً غير سارة تريدین
 الإفشاء بها إلى .
- إليزابث : وهل لا يغضبك ذلك ؟
 كلايف : كم تبلغين من العمر ؟
 إليزابث : خمسة وعشرين عاماً .
- كلايف : ما غضبت قط من سيدة يقل سنها عن
 الثلاثين .
- إليزابث : إذن أمانى عشر سنوات أخرى .
 كلايف : أنت مذهبة فى الحساب .
- إليزابث : كلا . فى وضع المساحيق على وجهى .
 كلايف : حسناً .
- إليزابث : أظن أن مهمتى ستصبح أكثر سهولة
 لو سمحت لى بالجلوس على ركبتيك .
- كلايف : إن ذوقك يعجبنى .. إنما حاذرى حتى لا يزداد

وزنك [تجلس على ركبته] .

إليزابث

: هل تضايقتك نحافتي ؟

كلايث

: على العكس ... إنى مصغ إليك .

إليزابث

: إن الليدى كاترين قادمة إلى هنا .

كلايث

: ومن هى الليدى كاترين ؟

إليزابث

: هى زوجة ... هى أم أرنولد .

كلايث

: أهى أمه ! ! [ثم ينسحب إلى الورا قليلا فتنهض

إليزابث واقفة] .

إليزابث

: لا تلقى اللوم على أرنولد ، فالغلطة غلطتى ، فلقد

صهمت على دعوتها رغم معارضة أرنولد

وظلمت ألح عليه حتى استسلم ، وعند ذلك

كتبت إليها أدهوها لزيارتنا .

كلايث

: لم أكن أعلم أنك تعرفينها .

إليزابث

: لم أكن أعرفها ، ولكنى سمعت بوجودها

فى لندن ، وبزولها فى فندق كلارديج ،

وخيل إلى أنه من القسوة أن نتجاهل

وجودها تماما .

كلايث

: ومتى تتوقعين قدومها ؟

إليزابث

: إنى أترقب حضورها الآن لتتناول طعام

الغداء معنا .

كلايث

: أهذه السرعة ؟ لقد أدركت الآن سر

ارتباككم .

إليزابيث : أظنك تعلم أننا لم نكن نتوقع مطلقاً
أن تأتي إلى هنا ، إذ أنك سبق أن أخبرتنا
بعزمك على قضاء شهر آخر في باريس .

كلايف : يا ابنتي العزيزة ، هذا بيتك ولست أجد
ما يمنعك من دعوة من تشائين من الناس
لزيارتك ، وقضاء بعض الوقت معك .

إليزابيث : ومع كل فهمهما تكن أخطاؤها ، فهي
أم أرنولد ، وأعتقد أنه ليس من الطبيعي
ألا يرى الواحد منهما الآخر . إن قلبي
ليدعى من أجل هذه السيدة المسكينة الوحيدة ،
كلايف : لم أسمع قط عن أنها وحيدة كما أنها ليست
مسكينة قطعاً .

إليزابيث : وهناك أمر آخر . فما كنت أستطيع دعوتها
بمفردها فقد يبدو ذلك . . . مهيناً لها . . .
ولهذا اضطرت إلى دعوت اللورد پورتيوس
أيضاً .

كلايف : لقد فهمت .
إليزابيث : أسمح لي بالقول إنه من الأفضل ألا
تقابلهما ؟

كلايف : أسمحين لي بالقول بأنهما قد يفضلان عدم
مقابلتي . سأتناول الغداء في الكوخ فقد

وجدت بالتجربة أنه في الإمكان الحصول
على أفضل الأطعمة إذا ما وصلت فجأة
وشاركت الخدم طعامهم في قاعة الخدم .

إليزابث

: لم يسبق لأحد أن حدثني عن الليدى كيتي
فقد كان كل إنسان يتجنب ذكرها
أو التحدث عنها ، كما أنى لم أر لها أية
صورة فوتوغرافية .

كلاييف

: لقد كان المنزل مليئاً بصورها عندما تركته
وعلى ما أذكر قد طلبت إلى رئيس الخدم
بأن يلقى بصورها إلى صفيحة القمامة . . .
وما كان أكثر صورها !

إليزابث

: وماذا كان شكلها في ذلك الوقت ؟

كلاييف

: لقد كانت تشبهك يا إليزابث إلى حد كبير ،
فقط كان لون شعرها أسود ، أما لون
شعرك فهو أحمر .

إليزابث

: يا للمسكينة ! لعل لون شعرها قد أصبح
ناصع البياض الآن .

كلاييف

: لقد كانت على جانب من الجمال .

إليزابث

: ولكنها كانت من أجمل سيدات عصرها ، وكان
الجميع يعبدونها .

كلاييف

: لقد كان لها أجمل وأدق أنف ، إنه يشبه
أنفك كثيراً .

إليزابيث : وهل يعجبك أنفى ؟
كلايف : لقد كانت فى منتهى الرقة ولها جسم صغير
جميل ، كما كانت رشيقة خفيفة الحركة ، أجل
لقد كانت فى منتهى الظرف .

إليزابيث : إنى متأكدة أنها لاتزال جميلة ظريفة .
كلايف : إنها لم تعد صغيرة السن كما تعلمين يا إليزابيث .
إليزابيث : لعلك لا تنتظر منى أن تكون نظرتى لها
شبهة بنظرتك ، أو نظرة أرنولد . لو أنك
أحببت كما أحببت ، لتقدم بك العمر
وأنت محتفظٌ بجمالك .

كلايف : إنك عاطفية جدا يا إليزابيث .
إليزابيث : لو أن كل إنسان لم يتخذ من فعلتها لغزا
غامضاً ، وسراً خفياً ، لكان من الجائز أن يتغير
شعورى نحوها عنه الآن . إنى أقر أنها قد
أساءت إليك كما أساءت إلى أرنولد أكبر
إساءة ممكنة ، فهذا مما لا شك فيه . وإبنى
أعترف بذلك .

كلايف : لعمرى إن هذا فضل منك عظيم .
إليزابيث : ولكنها أحببت واستمدت من حبها جرأة وشجاعة .
للحب هالة خلافة نقرأ عنها فى الكتب
كثيرا ، ولكننا قلما نقابلها وجها لوجه فى

الحقيقة والواقع . إن الحب يثير نفسى وكيانى
رغم إرادتى .

كلايف : ولكن الحقيقة المؤلمة ، هى أن الزوج المخدوع
فى كل هذه الحالات ليس شخصا عاطفيا .

إليزابث : لقد كان العالم كله تحت موطئ أقدامها .

فأنت غنى واسع الثراء ، وهى ذات مركز
مرموق فى المجتمع ، ولكنها رغم ذلك قد
ضحت بكل شئ فى سبيل الحب .

كلايف : [بحفاة] : لقد بدأت أشك أن دعوتك

لها لزيارتك هنا لم تكن من أجلها أو من أجل
أرنولد .

إليزابث : يخيل لى أنى أعرفها قبل أن أراها

وإنى لأتصور وجهها الجميل ، وقد علته
مسحة من الكآبة والحزن ، فإن حبا فى قوة
حبا لا يترك الإنسان مرحا بل وقورا مهيبا
كما يبدو لى وجهها الشاحب فى ساحة
وجه الطفل وبراءته .

كلايف : يا عزيزتى إليزابث ! ليم تسمحين لخيالك

الخصب أن يسرح بك إلى هذا الحد ؟

إليزابث : إنى لأتخيلها صغيرة الجسم . . . رقيقة .

كلايف : رقيقة بكل تأكيد .

إليزابيث : أما يداها فنحيفتان جميلتان ، وشعرها أبيض ناصع البياض . لقد طالما صورتها في خيالي وهي تجلس في قصرها الذي تعيش فيه ، والصور الجميلة تغطي جدرانها ، وهي في ملابسها الحريرية السوداء المطرزة بالدانتل وقلائد الماس تلتف حول جيدها . لعلك لا تعلم أني لم أعرف لي أمًّا في حياتي ، فقد ماتت وأنا طفلة صغيرة ، كما أن عماتي ولهن عائلتهن الخاصة لم تستطع واحدة منهن أن تكون لي أما مكانها ، لهذا أريد أن تكون أم أرنولد أما لي أيضا ، فلديّ الشيء الكثير الذي أريد أن أفضي به إليها .

كلايف : هل أنت سعيدة مع أرنولد ؟

إليزابيث : ولم لا أكون سعيدة معه ؟

كلايف : إذا لماذا لا تنجبا أطفالا حتى الآن ؟

إليزابيث : أمهلنا بعض الوقت فلم يمض على زواجنا سوى ثلاث سنين .

كلايف : ترى ما شكل هيوى الآن ؟

إليزابيث : أتقصد اللورد پورتوبوس ؟

كلايف : أجل لقد كان أكثر الناس أناقة في لندن ،

ولو أنه استمر على صلة بالسياسة لأصبح رئيساً للوزراء .

إليزابيث : وماذا كان شكله في ذلك العهد ؟
 كلايف : لقد كان شاباً وسيماً حسن المنظر وفارساً
 لا يشق له غبار ، كما كانت له جاذبية خاصة .
 أصفر الشعر وأزرق العينين ، كما كان متين
 البنيان ممشوق القوام ، وكنت أحبه فقد
 كنت - كما تعلمين - سكرتيره البرلماني ، كما
 كان پورتيوس عراب أرنولد .

إليزابيث : إنني أعلم ذلك .
 كلايف : إنني لأعجب ، ألم يندم على ما فعل ؟
 إليزابيث : لو كنت مكانه لما ندمت .
 كلايف : حسناً : يجب أن أرجع الآن إلى كوخى .
 إليزابيث : هل أنت غاضب منى ؟
 كلايف : كلا ! إطلاقاً .

[تقدم له وجهها ليقبله فيقبلها على وجنتها ، ثم
 يخرج وبعد لحظة تشاهد تدى خلف النافذة الزجاجية]
 تدى : لقد رأيت العجوز المتعب وهو ينصرف .

إليزابيث : ادخل .
 تدى : هل كل شيء على ما يرام ؟
 إليزابيث : أجل على الأقل فيما يختص به . سيبقى
 بعيداً عن هنا .

تدى : هل كان الأمر شاقاً عليك ؟

إليزابيث : كلا لقد سهل المهمة على كثيراً ، إنه عجوز
ظريف .

تدى : وإمكانك كنت خائفة .

إليزابيث : قليلاً . أجل وما زلت خائفة .. لا أدري لماذا .

تدى : تخمنت ذلك ، وكنت على وشك الدخول

لأرفع من روحك المعنوية . إن الحياة هنا
مدهشة ، أليس كذلك ؟

إليزابيث : نعم لطيفة ..

تدى : سيكون من دواعي سروري أن أفكر في كل

ذلك عندما أعود إلى الملايو .

إليزابيث : ألا تشعر بالحنين إلى الوطن أحياناً ؟

تدى : بالطبع فكل إنسان يشعر بالحنين إلى الوطن

بين كل حين وآخر كما تعلمين .

إليزابيث : كان في إمكانك الحصول على وظيفة هنا

في إنجلترا لو أردت ، أليس كذلك ؟

تدى : ولكنني أحب الحياة هناك . إن من أجمل الأماني

أن يفكر الإنسان في العودة إلى إنجلترا ..

إلا أنني رغم ذلك لا أستطيع الحياة فيها . إن

إنجلترا تشبه السيدة التي يهيم الإنسان بها حباً

ما دام بعيداً عنها ، إلا أنه حين يقابلها تثير

أعصابه لدرجة الجنون ، فلا يجد مندوحة
من الابتعاد عنها .

إليزابيث : [باسمه] : وما الذى تأخذه على انجلترا
من نقائص ؟

تدى : لست أجد فى انجلترا من الأخطاء ما أعيبه
عليها ، بل لعل العيب فى أنا شخصياً . لقد
عشت بعيداً عنها مدة طويلة ، ويخيل لى أن
انجلترا اليوم مليئة بأناس يؤدون أعمالاً
لا يرغبون فى أدائها ، لا لشيء إلا ليجرد أن
غيرهم من الناس يتوقعون منهم فعلها .

إليزابيث : أليس ذلك ما تسميه درجة عالية من المدنية ؟
تدى :

يخيل لى أن الإخلاص قد انعدم بين الناس
هنا ، فعندما تذهبين إلى الحفلات فى لندن
تسمعين الناس كلهم يتحدثون عن الفن
رغم وثوقك أنهم فى قرارة نفوسهم
لا يهتمون بالفن فى قليل أو كثير . ثم إنهم
يقرأون الكتب التى يتحدث عنها المجتمع
لأنهم فقط لا يريدون أن يكونوا متخلفين
عن الآخرين . أما فى الملايو فليست لدينا
كتب كثيرة ولكننا نقرأها كلها بدل المرة
الواحدة مرات عديدة ، لأنها فى منتهى الأهمية

لنا . إن نصيب الذين يعيشون هناك من
الدكاء قد لا يعادل نصف نصيب الذين
يعيشون في إنجلترا ؛ ولكن الإنسان هناك
يعرفهم على حقيقة أنهم . نحن هناك قلة
ويتحتم على الواحد منا أن يعمل لما فيه
سعادة الجميع .

إليزابث : أظن أن الثياب ذات الحواشي والديول
لا تلبس هناك بكثرة في الملايو ، وفي هذا
راحة تامة للجميع .

تدى : لاجدوى من التظاهر والادعاء في الملايو
لأن كل إنسان يعلم تماماً من أنت ، وكم يبلغ
دخلك .

إليزابث : من رأي أن الإخلاص الزائد في المجتمع غير
مرغوب فيه فإنه سيصبح بمثابة « كمر » من
الحديد في منزل من الورق .

تدى : وعندما تتعودين على السماء الصافية ، والشمس
المشرقة في الملايو فإنك ستفتقدين ذلك في
إنجلترا ولن تعجبك بعد .

إليزابث : وكيف يتسنى لك قضاء كل هذا الوقت
الطويل ؟

تدى : إن الواحد ليعمل ويكد اليوم كله ، ولا تنسى

أنه لكي يكون الإنسان مزارعاً ناجحاً عليه
أن يكون قوياً مفتول العضل ، ثم أملك
الاستحمام في البحر تحت أشجار النخيل التي
تظل الشاطئ ثم الصيد ، وبين كل حين
وآخر ، نقيم حفلة راقصة على أنغام الحاكى
[الجرامفون]

إليزابيث : [محاولة معاكسته] : أعتقد أن لك فتاة جميلة
هناك يا تدى .

تدى : [بهماس وقوة] أوه ! كلا ! كلا !
[تدعش إليزابيث قليلا عند ما ترى حماس تدى في نفى
التهمة عن نفسه ثم يعقب ذلك صمت يدوم لحظة
تسترجع فيها هدوءها]

إليزابيث : ولكن سيكون عليك أن تزوج وتستقر
هناك يوماً ما .

تدى : إنى أرغب في ذلك ولكن هذا موضوع
لا يمكن البت فيه بمثل هذه البساطة .

إليزابيث : لست أرى سبباً ، لماذا يكون الزواج هناك
أصعب منه في أى مكان آخر ؟

تدى : في إنجلترا ، عندما لا ينجح الزواج يتخذ
كل من الزوجين طريقه في الحياة حسب
ما يهوى ، وتظل الرابطة الزوجية بينهما كما
هو المتبع الآن ، أما هناك فعلى السيدة أن

تعتمد كل الاعتماد على نفسها ، وعلى مواردها .
الخاصة .

إليزابث

: بالطبع .

: لقد جاء إلى الملايو نساء كثيرات ، وكل

تدى

أملهن أن يقضين فيها حياة سعيدة ، ولكن
متى كانت عقليتهن تافهة فسرعان ما يصد من
بهذا الفراغ ، وفي هذا القضاء عليهن .
فإن كان الأزواج على شيء من الغنى
أرسلوهن إلى أوطانهم حيث يقضين بقية
العمر زوجات مهجورات .

إليزابث

: لقد قابلت بعضهن ، ويظهر لى أنهن يجدن
فى ذلك حرفة مستطابة .

تدى

: إن ذلك شنيع بالنسبة لأزواجهن .

إليزابث

: وإذا لم يكن الأزواج أغنياء ؟

تدى

: الانحدار والإدمان على الخمر .

إليزابث

: إن مستقبلا كهذا ، لن يغرى أحداً بالذهاب
إلى هناك .

تدى

: ولكن إذا كانت المرأة من النوع الصحيح
اللائق لرفضت أن تستبدل حياتها هناك
بأى حياة أخرى فى أى بقعة من بقاع العالم ،
وفوق كل هذا وذاك ، فلما نحن الذين صنعنا

الإمبراطورية البريطانية وخلقتها .
إليزابث : وأى نوع من النساء هو النوع الصحيح
اللائق ؟

تدى : السيدة الشجاعة الصبور المخلصة ، وبالطبع
لن تجدى كل هذه الصفات ما لم تكن
الزوجة شديدة الحب لزوجها .

[يطيل النظر إليها فى اهتمام زائد . . ترفع عينها إليه
وتطيل النظر ثم يسود بينهما الصمت]
تدى : إن بيتى يقوم على جانبا التل ، وتمتد أشجار
جوز الهند بينه وبين ساحل البحر . كما
تنمو الورود والأزهار والرياحين الجميلة
فى حديقتي ، وأمام منزلى يمتد شاطئ البحر
المتعرج ومياهه الزرقاء الصافية [فترة انتظار]
أتعلمين أننى أحبك الحب كله ؟

إليزابث : [ساهمة واجمة] لم أكن متأكدة من ذلك .

تدى : وأنت ! أتحيينى ؟ [تؤم براسها ببطء]
إنى لم أقبلك حتى الآن .

إليزابث : ولا أريدك أن تقبلنى .

[ينظران إلى بعضهما بثبات وكلاهما ساهم واجم .
يدخل أرنولد فى عجلة ولهفة]

أرنولد : إنهم قادمون يا إليزابث !

إليزابث : [كما لو كانت راجعة من عالم آخر بعيد] : من ؟

أرنولد : [بصبر نافذ] أوه يا عزيزتي ! أُمي بالطبع

إن السيارة قادمة على الطريق .

تدي : أتحب أن أنسحب من هنا لأخلى لكم المكان؟

أرنولد : كلا ! كلا ! بل ابق بحق السماء .

إليزابيث : من الأفضل أن نذهب لنقابلهم يا أرنولد

أرنولد : كلا ! أرى من الأفضل أن ننتظر حتى

يعلن رئيس الخدم قدومهم . إنى أكاد أجن

من الارتباك والاضطراب .

[تدخل أنا من الحديقة]

أنا : لقد وصل ضيوفكم الآن .

: أعلم ذلك .

أرنولد : لقد أعطيت الأمر بأننا سنتناول طعام الغداء

فوراً .

إليزابيث : لماذا؟ إن الساعة لم تبلغ الواحدة والنصف بعد !

أرنولد : فكرت في أن ذلك قد يساعدنا . فعندما

لا نعرف بالضبط ما نقول يمكننا أن نمضي

الوقت في تناول الطعام .

[يدخل رئيس الخدم ويعلن]

رئيس الخدم : ليدى كاترين تشامبيون تشيئني .

اللورد پورتيوس .

[تدخل ليدى كيتي وتتبعها پورتيوس ، وينصرف

رئيس الخدم . ليدى كيتي سيدة مرحة صغيرة الحجم

تصبغ شعرها باللون الأحمر، وتغطي وجنتيها المساحيق،
وملابسها خفيفة، وكأنها لم تفس أنها كانت في شبابه
ذات حسن وجمال، وتصرف كما لو كانت لا تزال
في الخامسة والعشرين من عمرها. لورد پورتوس
عجوز أصلع جداً، وملابسه غريبة غير متجانسة فضفاضة
يتم شكله عن سرعة البديهة والصرامة في الخلق: لم تكن
اليزابث تتوقع أن تراها بهذا الشكل ولهذا ظلت تهملق
فيهما بعينين زائفتين. تتقدم ليدى كيتي نحوها مادة يديها]

ليدى كيتي : إيزابث ! إيزابث ! [ثم تقبلها بشوق وهلة]
يالآ من مخلوقة فائنة ! [ثم تنظر إلى پورتوس]
هيوى أليست جميلة فائنة ؟

پورتوس : [في صوت أجش] ياه !
[إيزابث - باسمة الآن - تتجه نحوه وتمديدها إليه]

إيزابث : تشرفنا ؟
پورتوس : إن الطرق هنا متعبة ملعونة. تشرفنا يا عزيزى
لماذا أجد كل الطرق فى انجلترا متعبة
لعينة ؟

[تقع عيننا ليدى كيتي على تدى فتتجه إليه وذراعاها
إلى الخلف وعلى استعداد لأن تلتقيهما عليه وتلفهما حولها]
ليدى كيتي : ولدى ! ولدى ! إني لأعرفك فى أى مكان
كنت !

إيزابث : [مسرعة] هذا هو أرنولد .
ليدى كيتي : [دون أى تردد] إنه صورة من والده !

إني لأعرفه في أى مكان يكون !

[ثم تلف ذراعيها حول عنقه] ولدى ! ولدى !

پورتیوس : [في صوت أجش غليظ] ياه ! ياه ! .

ليدى كيتى : بربك خبرنى يا أرنولد ، أكنت تتعرف على

هل تغيرت كثيرا ؟

أرنولد : لقد كنت في الخامسة من عمرى فقط — كما

تعلمين — عندما عندما

ليدى كيتى : [بحنان وانفعال] إني لأذكر ذلك كما كان

بالأمس . لقد ذهبت إلى حجرتك [ثم تنفخ

لهبها فجأة] وبالمناسبة لقد كنت دائمة الظن

أن المربية تدمن شرب الخمر ، هل تأكدت

إذا كانت حقيقة تشرب الخمر أم لا ؟

پورتیوس : كيف تنتظرين منه بحق الشيطان أن يعرف

ذلك وهو طفل في الخامسة من عمره يا كيتى ؟

كيتى : لم يكن لك أى طفل طول حياتك يا هيوى !

فكيف يمكنك أن تقول ما يعرفه الأطفال

وما لا يعرفون ؟

إليزابث : [تتقدم لإنقاذ الموقف] : هذا هو أرنولد .

اللورد پورتیوس .

پورتیوس : [مسلماً عليه] تشرفنا ؟ إني أعرف والدك .

أرنولد : أجل .

- پورتیوس : ألا زال حيا ؟
- أرنولد : نعم .
- پورتیوس : لابد أنه أصبح عجوزا . أهو في صحة جيدة ؟
- أرنولد : جدا .
- پورتیوس : ياه اياه اياه إنه يعتنى بصحته على ما أظن .
أما أنا فلست بخير ، فإن هذا الطقس اللعين لا يلائمنى .
- إليزابث : [لليدى كيتى] هذه مسز شينستون وهذا مستر لوتن أرجو ألا يكون لديك أى اعتراض على هذا الحفل الصغير .
- ليدى كيتى : [منسمة على مسز شينستون وتدى] أوه اكلا .
بل إنى سأستمتع بصحبتهم ، لقد كنت متعودة على إقامة حفلات هائلة هنا . حفلات سياسية كما تعلمين . لقد جعلتم هذه الحجرة فى منتهى الجمال !
- إليزابث : الفضل فى ذلك لأرنولد .
- أرنولد : [بمصيبة] أتخبين هذا الكرسي ؟ لقد اشتريته الآن فقط . إنه أثرى .
- پورتیوس : [بخشونة وجفاف] إنه مقلد .
- أرنولد : [كن جرحت كرامته] لا أعتقد أبدا أنه تقليد .

- پورتيوس : كما أن أرجله ليست مضبوطة .
- أرنولد : لست أدري كيف تقول ذلك . إن أرجل هذا الكرسي هي أحسن وأضبط ما فيه .
- ليدى كيتي : أنا متأكدة أن الأرجل مضبوطة .
- پورتيوس : ليست لديك أية معلومات بخصوص هذا الموضوع يا كيتي .
- ليدى كيتي : هذا رأيك . أن هذا الكرسي في منتهى الجمال [ثم تلتفت إلى اليزابث] إني أتذكر في إحدى المرات التي مثلت فيها . . هل تمثلين يا عزيزتي ؟
- إليزابث : كلا ! لا يمكنني ذلك . . إن أعصابي قد نخونني .
- ليدى كيتي : إني لا أشكو من اضطراب الأعصاب أبدا . لقد خلقت ممثلة ، ولو قدر لي أن أرجع عهد الشباب لاعتليت خشبة المسرح ، إن الممثلات هن أقدر الناس على الاحتفاظ بشبابهن كما تعلمين ، ولعل مرجع ذلك إلى أنهن يقمن بتمثيل أدوار مختلفة متعددة . هيوى ! هل تعتقد أن أرنولد يشبهني أم يشبه والده ؟ إني واثقة أنه صورة مني . أرنولد ! أعتقد أنه من واجبي أن أخبرك

أن الكنيسة الكاثوليكية قد قبلتني في الشتاء الماضي ، ولقد ظلمت أفكر في هذا الأمر سنين عديدة ، وفي آخر مرة كنا في مونت كارلو قابلت رجلا ظريفا من رجال الدين وشكوت له متاعبي فكان تصرفه معي مدهشا عجبياً ، ولكني لما كنت أعلم أن پورتوس لن يوافق فقد احتفظت بالأمر سرا بيني وبين نفسي [ثم توجه الكلام إلى اليزابث] هل تهتمين بالديانة يا عزيزتي ؟ إنها مدهشة لابد وأن نتحدث طويلا في هذا الخصوص ذات يوم [ثم تشير إلى مغطفها] هل فصله لك « كالوت » ؟

إليزابث : كلا بل « ورث » .
ليدى كيتي : لقد كنت أعلم أنه إما أن يكون « كالوت » أو « ورث » وطبعا ما يهم هو التصميم . ماذا دهاك يا هيوى ؟

پورتوس : إن طقم أسناني الجديد يتعبني جدا .
ليدى كيتي : عجيب أمر هؤلاء الرجال فهم لا يقدرّون على تحمل أقل مضايقة ، بينما نرى حياة المرأة منذ أن تصحو من نومها في الصباح الباكر حتى تأوى إلى فراشها في الليل

سلسلة متصلة الحلقات من المضايقات
والمتعاب ، وحتى أثناء نومها هل تظن أن
المرأة تنعم بنوم والقناع (مراهم التجميل) على
وجهها ؟

پورتیوس : إن الأسنان ليست ثابتة تماما في فمى .
ليدى كيتى : ليس في أسنانك أى عيب ، إنما العيب في
لثتك .

پورتیوس : إن العيب في طبيب الأسنان الجاهل اللعين .
ليدى كيتى : إنى أعتقد أنه طبيب أسنان ظريف جدا ، لقد
قال لى إن أسنانى ستظل سليمة حتى أبلغ
الخمسين من عمرى ، إن لديه حجرة على
الطراز الصينى في منتهى الفخامة ، وإنه
يسرى عن مرضاه أثناء تنظيفه لأسنانهم
فيحكى لهم عن الأمير اطورة الارملة ، أتهمين
بالصين ؟ أعتقد أنها مدهشة . . أتعلمين
أنهم يقصون ضفائرهم الآن . يا للخسارة
إن هذا الأمر يدعو للأسى والأسف
فقد كان منظرهم في منتهى الروعة والحسن
[يدخل رئيس الخدم]

رئيس الخدم : إن طعام الغداء قد أعد ياسيدى !
إليزابث : هل تريدون رؤية حجرات النوم الآن ؟

- پورتيوس : ممكننا رؤيتها بعد الغداء .
- ليدى كيتى : أريد استكمال زينتى يا هيوى .
- پورتيوس : استكملى زينتك هنا .
- ليدى كيتى : لم أرفى حياى أحداً يماثلك فى قلة الاهتمام .
- پورتيوس : سنضطر إلى انتظارك أكثر من نصف ساعة فأنا أعرفك تماماً .
- ليدى كيتى : [تبحث فى حقيبتها] : أوه ! حسنا ! فلأشترى السلام بأى ثمن ، كما قال اللورد بيكونز فيلد
- پورتيوس : لقد قال الكثير من الكلام الأجوف الذى لا معنى له يا كيتى ، ولكنه لم يقل هذا الجملة قط [يتغير وجه ليدى كيتى فيبدو عليه الارتباك ثم الامتناع ثم الهياج والكدر]
- ليدى كيتى : يا لله !
- إليزابث : ماذا حدث ؟
- ليدى كيتى : [متأللة] صابغ الشفاه !
- إليزابث : ألا يمكنك العثور عليه ؟
- ليدى كيتى : لقد كان معى فى السيارة . هيوى ، ألا تتذكر أنه كان معى فى السيارة ؟
- پورتيوس : إنى لا أذكر عنه شيئاً .
- ليدى كيتى : لا تكن غيباً يا هيوى ! ألا تذكر أننا عندما اجتزنا البوابة الخارجية هتفت قائلة :

بيتي ! بيتي ! ثم أخرجت أصبع الشفاه
ووضعت منه على شفقي ؟ !

إليزابيث : لعله قد سقط منك في السيارة .
ليدى كيتي : بحق السماء أرسلني من يبحث لي عنه .
أرنولد : سأدق الجرس .
ليدى كيتي : لا أدري كيف أعيش بدون أصبع الشفاه !
ألا يمكنك إعارتي أحمر شفاهك يا عزيزتي ؟
إليزابيث : كلى أسف فليس لدى أى أصبع للشفاه .
ليدى كيتي : هل أفهم من ذلك أنك لا تستعملين أصابع
الشفاه .

إليزابيث : قطعياً .
پورتيوس : انظري إلى لون شفتيها ! فما حاجتها بحق
الشیطان لهذا « الزفت » الذى تطلی به الشفاه
ليدى كيتي : أواه يا عزيزتي ، إنك سترتكبين غلطة
لا تغتفر يجب أن تستخدميه ، فهو مفيد للشفاه
كما أن الرجال يفضلونه كثيراً . إنى لا يمكننى
الحياة بدون أصبع الشفاه .

[ويظهر كلايف تشامبيون تشبى مسكاً في يده الممدودة
علبة ذهبية صغيرة]

كلايف : [وهو يدخل الحجرة] هل فقد أحد منكم آنية
صغيرة تحتوى — مالم أكن مخطئاً — على

أداة من أدوات الزينة ؟

[أرنولد واليزابث يصمغان عند رؤيته ، وحتى أنا
وقدنى تأخذهما الدهشة ، ولكن ليدى كيتى يغمرها
الفرح]

ليدى كيتى : إنه أصبع شفتى .
كلايث : لقد وجدته فى الطريق وتجاسرت على
إحضاره .

ليدى كيتى : إنه القديس أنطوان . لقد رفعت له صلاة
قصيرة عندما كنت أبحث فى حقيبتى .
پورتىوس : ليس القديس أنطوان ؛ ولكنه كلايث !
ليدى كيتى : [تفرع ثم تنظر إليه وتهتف] كلايث .

كلايث : إنك لم تعرفينى . لقد مضت سنوات عديدة
منذ آخر مرة تقابلنا فيها .

ليدى كيتى : يا لكلايث المسكين ! لقد أصبح شعرك
أبيضاً ناصع البياض .

كلايث : [ماداً يده] أرجو أن تكون الرحلة من
لندن إلى هنا سارة مريحة .

ليدى كيتى : [مقدمة له خدماً] لك أن تقبلنى يا كلايث !
كلايث : [يقبلها] : إذا لم يكن لديك أى مانع
يا هيووى ؟

پورتىوس : [فى صوت أجش] ياه ! ياه !

كلایف : [یذهب إليه فی محبة] : وكيف حالك يا عزيزی
هیوی ؟

پورتیوس : إني أشكو من الروماتزم اللعين إذا كان
یهلك أن تعلم أن الطقس لعین فی هذه البلد .

كلایف : ألا تريد أن تصافحني يا هیوی ؟

پورتیوس : لا اعتراض على مصافحتي لك .

كلایف : لقد كبرت وشخت يا هیوی المسكين .

پورتیوس : لقد سألتی بعض الناس عن عمرك منذ فترة
قريبة .

كلایف : وهل عرّتهم الدهشة عندما قلت لهم عن سني ؟

پورتیوس : دهشوا ! دهشوا فعلا عندما علموا أنك
لم تمت بعد [يدخل رئيس الخدم] .

رئيس الخدم : هل دققت الجرس ياسیدی ؟

أرنولد : كلا ! أوه نعم لقد دققت الجرس ، ولكن
لا يهم ذلك الآن .

كلایف : [أثناء انصراف رئيس الخدم] انتظر لحظة .

يا عزيزی إلیزابث ، إني ألقا إلى كرمك

فإن خدמי فی شغل عني بشئونهم الخاصة

ولم أجد فی الكوخ ما آكله .

إلیزابث : سيسعدنا جدا أن تتناول الغداء معنا .

كلایف : إما تناول الغداء معكم ، وإما الموت جوعا

أرجو ألا يكون لديك مانع يا أرنولد ؟

أرنولد : يا والدى العزيز !

إليزابث : [لرئيس الخدم] إن المستر كلايف تشييفى

سيتناول الغداء معنا .

رئيس الخدم : حسن جداً يا سيدتى .

كلايف : [لليدى كيتى] : وما رأيك فى أرنولد ؟

ليدى كيتى : إنى أعبدّه .

كلايف : لقد كبر ! أليس كذلك ؟ ولكنك كنت

تتوقعين منه ذلك بعد ٣٠ سنة

أرنولد : بربك يا إليزابث ! هلمى بنا ندخل لتتناول

طعام الغداء .



الفصل الثايف

المنظر

هو نفس منظر الفصل الأول . والوقت بعد الظهر
عند ما ترتفع الستار نرى پورتيوس وليدى كيتى ،
أنا وتدى يلمهون البريدج . اليزابث وكلايف
تشامبيون تشينى يتفرجان . پورتيوس وليدى كيتى
شريكان

كلايف تشينى : متى يرجع أرنولد يا اليزابث ؟
اليزابث : أظنه سيرجع حالا .
كلايف : هل يخطب فى اجتماع انتخابى ؟
اليزابث : كلا ! إنه مجرد اجتماع عادى مع وكيله
وواحد أو اثنين من الناخبين .
پورتيوس : [بقلق] كيف يتسنى للإنسان أن يلعب
البريدج بينما الناس من حوله يصيحون
بأعلى صوتهم ؟ أنا شخصياً لا أستطيع ذلك .

- إليزابيث : [مبتسمة] إلى آسفة جداً .
 أنا : إننى أستطيع أن أرى كل الأوراق التى فى
 يدك يا لورد پورتىوس .
- پورتىوس : قد تستفيد من ذلك .
 ليدى كيتى : لقد طالما أوصيتك المرة بعد المرة أن تملك
 بأوراقك إلى فوق ، إن اللعبة تفقد لذتها
 إذا وجد اللاعب نفسه مضطراً إلى رؤية
 الأوراق التى فى يد خصمه .
- پورتىوس : إن أحداً لا يجبرك على النظر إلى أوراق خصمه .
 ليدى كيتى : كم كان عدد الأصوات التى فاز بها أرنولد
 على منافسه فى الانتخاب الأخير ؟
- إليزابيث : لقد فاز بأغلبية سبعمائة صوت وبضعة أصوات
 پورتىوس : إن عليه أن يكافح ويناضل من أجل الفوز إذا
 كان يريد الاحتفاظ بمقعده فى الانتخاب القادم
- پورتىوس : هل نحن نلعب البريدج أم نتحدث فى السياسة ؟
 ليدى كيتى : إن هذا الحديث لا يعوقنى عن اللعب ؟
- پورتىوس : لأنك لا تلعبين وأنت تتحدثين أسوأ مما
 تلعبين وأنت صامتة .
- ليدى كيتى : أعتقد أن فى كلامك هذا إهانة لى ياهوى
 لأننى لا ألعب بنفس طريقتك التى تلعب
 بها تظن أنى أجهل اللعب ؟

پورتیوس : يسعدنى اعترافك بأنك لاتلعبين بنفس الطريقة
التي ألعب بها ، ولكن لماذا بحق الآلهة تسمين
ما تلعبينه بريديجا ؟

كلايث : إني أتنفق مع كيتي . إني أكره الناس الذين
يأعبون البريديج كما لو كانوا يمشون في جنازة
وأرجلهم تغوص في الماء والوحل .

پورتیوس : إنك بلا شك تقف بجانب كيتي وتنحاز
إلى صفها .

ليدى كيتي : إن هذا أقل ما يمكنه عمله .

كلايث : إني بطبعي أميل إلى المرح .

پورتیوس : ولم يحدث لك في حياتك ما يعكر عليك
طبيعتك المرحية .

ليدى كيتي : لست أدري ماذا تقصد بذلك يا هيتوي ؟

پورتیوس : [محاو لا استرجاع هدوته] : أكان عليك
أن تربحي ورقتي الراححة .

ليدى كيتي : [هراة] : أوه ! وهل كان «الآس» خاصا
بك يا حبيبي ؟

پورتیوس : [منفعلا] : أجل إنه «آسى» .

ليدى كيتي : لقد كانت هي الورقة الراححة الوحيدة في

يدي ، ومع ذلك ما كان يجب على أن أربح بها

پورتیوس : لا تقولى ذلك . أنا تعرف الآن تماماً ما فى
يدى من ورق .

ليدى كيتى : ولكنها كانت تعرفه من قبل .

پورتیوس : كيف يمكنها معرفة ورقى ؟

ليدى كيتى : لقد قالت ، إنها ترى جميع الأوراق التى
فى يدك .

أنا : أوه ! لم أقل ذلك . لقد قبلت إن فى إمكاني
رويتها .

ليدى كيتى : حسناً ! لقد ظننت أنه ما دام فى قدرتها
رويتها .. فبطبيعة الحال سوف تراها .

پورتیوس : فى الواقع ، يا كيتى ، إن أفكارك فى منتهى
الغربة .

كلايف : لا غرابة قط فى ذلك ، فإذا بلغ الجهل
باللاعب أن يربى ما بيده من أوراق
فلأن بدون شك سأنظر إليها وأعرفها .

پورتیوس : [محتدأ] لو أنك درست آداب لعبة البريدج
لأدركت أنه محظور بتاتا على المتفرج أن
يتدخل فى اللعب .

كلايف : يا عزيزى هيوى ، إن ذلك يتعلق بالآداب
العامة وليس بلعبة البريدج

- أنا : على أية حال لقد كسبت الدور .
- تدى : لى أطالب بلغاء الدور .
- پورتیوس : لماذا تطالب بلغائه ؟
- تدى : لأنك أخطأت فى اللعب .
- پورتیوس : أنى لم أخطئ أبداً فى حیاتى .
- تدى : دعنى أثبت لك ذلك [ثم یقلب الأوراق الى أمامه لیستطیع قراءتها] . . انظر
- لیدى کیتی : [مسرورة لأن پورتیوس أخطأ] : لا شك فى ذلك یا پورتیوس لقد أخطأت فى لعبك
- پورتیوس : أوكد لكم أنى لم أرتكب أى خطأ فى اللعب
- کلایف : لقد أخطأت بالتأكید یا هیوى ، وقد كنت فى دهشة لوقوعك فى كل هذه الأخطاء .
- پورتیوس : کیف لا أخطئ فى اللعب وهذه الضوضاء اللعينة من حولی طول الوقت ! !
- [یوجه كلامه الى تشامبیون تشینی] لا تقف خلفى ، فإنى لا أستطیع لعب البریدج بینما یتنفس إنسان فى قفای .
- [ثم ینفص الجميع من حول مائدة البریدج ویتفرقون فى الحجرة]
- أنا : سأختارلى کتاباً وأجلس فى الحديقة حتى یقرب موعد تناول طعام العشاء [ثم یمرح أنا]

ليدى كيتى : هل تحب أن تتجول معى فى الحديقة
يا هيوى ؟

پورتىوس : [وهو يعيد ترتيب أوراق اللعب ليعدها للعبة أخرى
يلعبها بمفرده دون أن يتحرك من مكانه] :
لماذا تريدن التجول فى الحديقة ؟

ليدى كيتى : لنريض قليلا

پورتىوس : إني أكره الرياضة !

كلايف : [ناظراً إلى الأوراق التى فى يد پورتىوس] ضع
السبعة فوق الثمانية [لا يعير پورتىوس كلامه
أى اهتمام]

ليدى كيتى : ضع السبعة فوق الثمانية يا هيوى !

پورتىوس : لا أستحسن وضع السبعة فوق الثمانية .

كلايف : وهذا « الفاليه » فوق « الدام » !

پورتىوس : أشكرك لست أعمى إني أرى كل شىء .

ليدى كيتى : الثلاثة فوق الأربعة !

پورتىوس : [مهتماً] هل أنا الذى يلعب أم أنتم ؟

ليدى كيتى : ولكنك تخطئ فى كل لعبة .

پورتىوس : هذا أمر يخصنى وحدى ولا شأن لك ؟

كلايف : لا داعى لأن تفقد أعصابك هكذا يا هيوى

پورتىوس : اذهبا بعيداً عنى . إنكما تستثيراننى !

ليدى كيتى : لقد كنا نحاول أن نقدم لك يد المساعدة
يا هيوى .

پورتىوس : لست فى حاجة إلى مساعدة أحد . إليكما
عنى !

ليدى كيتى : إن تصرفاتك أصبحت لا تحتل يا هيوى .

پورتىوس : إنه لما يبعث المرء على الجنون أن يصير الناس على
مضايقته وهو يحاول أن يسلى نفسه بلعب
الورق فى عزلة وهدوء .

ليدى كيتى : لن ننطق بأى كلمة أخرى .

[يستمر پورتىوس فى اللعب ، وكيتى وكلايف يتفرجان عليه]

پورتىوس : آه . . . لو كنت قد استمعت إلى نصيحتكما
ورفعت السبعة لما أمكننى الاستمرار فى
اللعب .

ليدى كيتى وكلايف : [معاً] ضع الأربعة فوق الخمسة .

پورتىوس : [يلقى بأوراق اللعب من يده فى غضب] عليكم

اللعنة ! لم لا تتركاني وشأني ؟ إن هذا

لا يحتل

ليدى كيتى : هذه سخافة منك يا هيوى !

پورتىوس : لقد قلت لك بدل المرة مرات عديدة إنى لا

أريد أن يقاطعنى أحد أثناء اللعب ألا تفهمين ؟

ليدى كيتى : لا تخاطبني بهذه اللهجة يا هيوى .

پورتیوس : إني أحاطبك باللهجة التي تعجبني .
ليدى كيتي : [تبتدى فى البكاء] أوه ! يا لك من متوحش !
متوحش !

[ثم تمدو خارج الحجرة]
پورتیوس : يا للداهية ! والآن سيبقى دور البكاء .
[يخرج پورتیوس بهبط إى الحديقة . كلايف والیزابث
وتدى یتركون وحدهم . تسود فترة صمت ، یلتقل
نظر كلايف بین الیزابث وتدى فى ابتسامة ساخرة
متكئة] .

کلايف : لعلهما قد تزوجا ، فإنهما یتشاجران كثيراً
الیزابث : [بزود وجفاء] لقد كان فضلاً منك أن تكثر
من الحضور إلی هنا منذ قدومها ، فقد ساعد
ذلك على تسهيل الأمور إلی حد كبير .
کلايف : أتمکين ؟ إن هذه اللهجة الخطابية لا
یستسیغها الناس كثيراً فى هذه البقعة ، من
الأرض ، فى إنجلترا !

الیزابث : ما الذى تهدف إلیه من كل ذلك ؟
کلايف : لقد هبط مستوى السيدات الشابات هذه
الأيام . ولعل تطرف أرنولد فى تدقیقه فى
انتقاء ألفاظه قد دفع بك إلی التطرف
العکسى .

اليزابث : على كل حال إنك تدرك تماماً ما الذى أعنيه .

كلايث : [مبتسماً] لعله مجرد شك مبهم غير واضح .

اليزابث : لقد وعدتني أن تباعد عن طريقها . فما الذى جاء بك إلى هنا فى اللحظة نفسها التى وصلا فيها ؟

كلايث : لعله حب الاستطلاع يا طفلى العزيزة .

حب استطلاع برىء يجب أن يغفر لصاحبه
اليزابث : لم تفارقنا منذ وصولها بينما لم تكن عادتلك أن تشرفنا بصحبتك عندما نحضر إلى كوخلك .

كلايث : لقد وجدت فى صحبتكم هذه المرة تسليّة عظيمة .

اليزابث : كما لاحظت أنهما عندما يبدأان فى المشاحنة والنزاع تعمل من جانبك بسوء نية على دفعهما إلى مواصلة الخلاف وتعقيده ، وكأنك تجد فى ذلك لذة عظيمة .

كلايث : لا أعتقد أنه يوجد بينهما الآن أى حب مفقود . أليس كذلك ؟

[يهم تدى بالخروج من الحجرة]

اليزابث : لا تذهب يا تدى .

كلايث : كلا ! أرجوك ألا تخرج يا تدى فلن أبقي

أكثر من دقيقة واحدة . لقد كنا نتكلم عن
ليدى كيتى قبل وصولها [يوجه الكلام إلى اليزابث]
هل تذكرين السيدة الشاحبة الصغيرة الجميلة
فى ملابسها الحريرية السوداء المطرزة .

اليزابث : [ضاحكة] إنك شيطان .

كلايث : حسناً ! لقد كانت شهرته دواماً أنه رجل
مهذب يميل إلى الدعابة والمزاح .

اليزابث : أكنت تتوقع لهذه المسكينة العزيزة أن تبدو
بهذا الشكل ؟

كلايث : يا ابنتى العزيزة ، لم تكن لدى أية فكرة .
لقد كنت تسألينى ذلك اليوم عن شكلها
يوم هربت ، ولم أخبرك إلا نصف الحقيقة
فقط . فقد كانت مرحلة طبيعية دون تظاهر
أو تكلف . من كان يحلم أن النشاط والحيوية
ينقلبان إلى تفاهة وطيش ؟ أو أن الجاذبية
الطبيعية الرائعة تتحول إلى تصنع مضحك ؟

اليزابث : إن أعصابى لتثور عند ما أسمعك تتحدث
عنها بمثل هذه الطريقة .

كلايث : إنها الحقيقة المؤلمة التى تثير أعصابك ولست أنا !

اليزابث : لقد أحببتها يوماً ما ألم تعد تشعر بأى عاطفة نحوها الآن ؟

كلابيث : كلا لست أشعر بشيء ! وما الذى يدعونى لذلك ؟

اليزابث : إنها أم ابنك !
كلابيث : يا للابنة العزيزة ، إنك مخلوقة جدابة بسيطة

صريحة طبيعية كما كانت كيتى تماماً ، ولكنى أنصحك ألا تدعى مجرد السفسطة تطفى على حسن إداراك .

اليزابث : ليس من حقنا أن نحاكم وندين خاصة وهى لم تعيش بيننا سوى يومين اثنين . إننا لا نعلم الكثير عنها .

كلابيث : يا عزيزتى ، إن نفسها مثل وجهها ملطخة بالأحمر الكثيف . إن عواطفها كلها رياء لا إخلاص فيها بل مجرد مظهر براق مخادع كاذب . قد تظنين أنى عجوز شرس قاس ولكنى كلما فكرت فى الحالة التى كانت فيها كيتى فيما مضى والدرك الذى وصلت إليه الآن أجد نفسى بين أمرين لا ثالث لهما ، فإما الضحك عليها أو البكاء من أجلها .

اليزابث : ومن يدريك أنها كانت ستنتهى إلى نفس هذا

هذا المصير لو بقيت زوجتك ؟ أو تظن أن
تأثيرك الشخصى عليها كان يمكن أن يكون
له من الأثر الطيب القوى ما يجنبها هذا
المصير ؟

كلايف : [فى مدوء وابتناسة] كم أحبك عند ماتكونين
قاسية على وتحاولين إهانتى .

اليزابث : لعل حبك لى يملكك على إجابة سوالى !

كلايف : لقد كانت كيتى فى السابعة والعشرين من

عمرها عند ما هجرتنى ، وقد كان فى مقدورها

أن تصبح أى شىء كان فى إمكانها أن

تصبح السيدة التى توقعت أنت لها أن تكون ،

إن قلة فقط من الناس هى التى تملك من

القوة ما تخضع به الظروف لإرادتها وتجبرها

على خدمتها ولكن الأغلبية الساحقة منا ،

وليدة البيئة التى تعيش فيها . لقد أصبحت

كيتى سيدة تافهة حمقاء ، لأنها عاشت حياة

تافهة حمقاء .

اليزابث : [مزعجة] إنك اليوم ، فظيع !

كلايف : إننى لا أدعى القول بأنه كان فى إمكانى أنا

منعها من أن تصبح شبحاً مضحكاً لسيدة

جميلة تقدم بها العمر ، ولكن الحياة كان فى

مقدورها ذلك ، كانت كيتي ستجد
الأصدقاء اللاتقين بمركزها ، والنشاط
المهذب الشريف ، والأمور الفاضلة الجديرة
باهتمامها — أسألها كيف كانت عيشتها
طوال هذه السنين الثلاثين بين النساء
المطلقات والرجال الذين يعاشرنهن . . .
ليس شيء في الوجود أدعى إلى الحزن والرثاء
من حياة اللهو والفساد والهجون .

اليزابث : على أية حال لقد أحبت وأُحبت بشدة ، وإني

لا أملك نفسي من العطف عليها والحب لها .
كلايف : وإذا كانت قد أحبت كما تقولين فما هو

شعورها عند ما أدركت أنها حطمت حياة
هيوى حبيبها وقضت على مستقبله ؟ ألم ترى
أنه كان مخموراً ليلة الأمس بعد العشاء كما
كان مخموراً في الليلة السابقة .

اليزابث : أعلم ذلك .

كلايف : لعلها قد تقبلت إدمانه على الخمر على أنه

أمر عادى . أسألها منذ كم سنة وهو يدمن
شرب الخمر كل ليلة ؟ أو تظنين أنه كان
كذلك منذ ثلاثين عاماً مضت ؟ أنتصوين
أنه كان ألمع شباب إنجلترا ، وأن كل

إنسان كان يتوقع له أن يصبح رئيساً
للوزراء ؟ انظري إليه الآن - إنه مخلوق
شرس وضع متهدم يستخدم أسناناً صناعية .

اليزابث : أليست أسنانك صناعية أنت أيضاً ؟
كلايف : أجل . ولكنهما - بحق الشيطان - ثلاثمئتين .

لقد حطمتها كثيرى وهى تعلم أنها قد حطمتها .
اليزابث : [ناظرة إليه فى شك وارتياح] لآى سبب تقول
كل هذا الكلام . . . لى ؟

كلايف : وهل فى ذلك جرح لإحساسك ؟
اليزابث : أعتقد أنى لا أريد أن أسمع مزيداً عن هذا
الموضوع فى الوقت الحاضر .

كلايف : سأذهب لأتفرج على أسماك الزينة حتى يأتى
أرنولد ؛ لأنى أريد مقابله . [بأدب] أخشى
أن نكون قد سببنا بعض الضرر والمضايقة
للمستر لوتن .

تدى : كلا ! إطلاقاً .
كلايف : ومنى تنوى الرجوع إلى الملايو ؟
تدى : فى غضون شهر تقريباً .

كلايف : آه . . . [ثم ينصرف كلايف]
اليزابث : ترى ما الذى يخفيه هذا الرجل فى دخيلة
نفسه ؟

- تدى : هل تظنين أنه كان يعينك بكلامه هذا ؟
- اليزابث : من يدري ؟ إنه فى ذكاء القردة !
- [تنادى ذلك فترة صمت . يتردد . تدى قليلا وعند ما يتكلم يلاحظ تغيير فى صوته ، ثم يبدو رزينا مدركا لخطورة كلماته وإن كان عصبيا بعض الشيء]
- تدى : يظهر أنه من الصعب جداً أن أقضى معك بضع دقائق على انفراد . وإننى أتساءل هل تعمان من جانبك على عدم إتاحة هذه الفرصة لى ؟
- اليزابث : أريد أن أعطى نفسى مهلة للتفكير .
- تدى : لقد قررت السفر غداً .
- اليزابث : لماذا ؟
- تدى : لأنه إما أن تكوفى لى بكليتك وإما تركت كل شىء ومضيت .
- اليزابث : يا لك من مستبد ظالم .
- تدى : لقد قلت . . . لقد قلت إنك تحبيننى .
- اليزابث : نعم ؟
- تدى : ألدبك مانع من أن نتحدث فى هذا الموضوع الآن ؟
- اليزابث : لا مانع لدى .
- تدى : [عابسا] لى لأشعر بالحنج والارتباك فلطالما

كررت لنفسى كل ما أريد أن أقوله لك
وها أنا أكتشف الآن فقط أن كل ما أعدته
من قول يبدو تافهاً عديم القيمة .

اليزابث

: أحس أنى على وشك البكاء .

ندى

: إن الأمر جد خطير يا اليزابث ، وعلينا أن

نبعد العواطف نهائياً ونحكم العقل وحده . .

أظنك عاطفية ، أليس كذلك ؟

اليزابث

: [محاولة الابتسام وهى تغالب دموعها] وأنت

عاطفى مثلى بخصوص هذا الموضوع .

ندى

: وهذا هو السبب الذى من أجله أردت أن

يكون كل شىء سأقوله لك ظاهراً محدداً .

فى رأى أنه سيكون من الظلم الفاحش أن

أطارحك الغرام وما إليه ، فأحملك على

الاستجابة لى ، لهذا كتبت كل شىء

أريد قوله ، وفكرت فى إرساله فى خطاب لك .

اليزابث

: ولم لم تفعل ؟

ندى

: خفت العاقبة . . . إن الخطاب يبدو بارداً

وها أنت ترين أنى أحبك أشد الحب !

اليزابث

: بحق السماء لا تقل ذلك !

ندى

: بالله لا تبكى . أرجوك ألا تفعلى وإلا انهارت

أعصابى .

اليزابث : [محاولة أن تبتم] آسفة . إن بكائي لا يعنى
فى الحقيقة أى شىء . إنما مجرد دموع
تجرى من عيني .

تدى : إن فرصتنا الوحيدة هى أن نكون واقعيين .
[يتوقف عن الكلام لحظة ثم يجد أنه من الصعب عليه
أن يتمالك نفسه - يحاول «تسليك» صوته ثم يتولاه
الغضب لأنه متضايق من نفسه] .

اليزابث : ماذا حدث ؟
تدى : إنى أشعر بغصة فى حلقى . هذا غياب منى
بالطبع . يستحسن أن أشعل لنفسي سيجارة
[ترقبه فى صمت وهو يحاول إشعال السيجارة] إنى لم
أشعر بحب لأحد من قبل . . . حباً حقيقياً
ولهذا كان فى حبي لك ضربة قاضية على
ولست أدري كيف أتمكن من الحياة بدونك
الآن . هل هذا العجوز المغفل يعلم بحبي لك ؟
اليزابث : هذا ما أعتقده .

تدى : عندما كان يتحدث عن الليدى كيتي
وتخطيطها لمستقبل اللورد پورتىوس كنت
أحس أنه يقصد بكلامه هذا هدفاً خفياً آخر
اليزابث : لعله يحاول أن يقنعنى حتى لا أحطم مستقبلك
أنت .

تدى

: بالتأكيد هذا فضل كبير منه ، ولكن ليس
لى مستقبل أخشى عليه من التحطيم . كم
كنت أتمنى لو أن لى مستقبلا .

لعلها المرة الأولى فى حياتى التى تمنيت فيها
أن أكون رجلا عظيماً ثرياً مشهوراً ، حتى
إذا ضحيت بكل ذلك فى سبيل حبك
أثبت لك أنك أنت وحدك بالنسبة لى أهم
من كل كنوز العالم وأمجاده .

اليزابث

: [بحبة وإعزاز] كم أنت عزيز يا تدى .

تدى

: ها أنت تعلمين أنى لا أجيد التعبير عن
الحب وحتى لو كنت أجيده لما حاولت ذلك
الآن؛ لأنى أريد أن أكون عملياً تماماً .

اليزابث

: [مازحة منه] إنى سعيدة لأنك لا تستطيع
مطارحتى الغرام لأن ذلك قد يكون فوق
ما فى مقدورى تحمله .

تدى

: ها أنت ترين أننى لا أجيد الغراميات !
إنى رجل أعمال أو مزارع عادى لا أكثر
ولا أقل . وما نحن بصددده الآن أمر فى
منتهى الخطورة ، وأرى من الواجب علينا
أن نكون عقلاء متزنين .

اليزابث

: [فى صوت متهدج] أيها البومة !

تدى : كلا يا إليزابث لا تقولى لى شيئاً من ذلك .

إنى أريدك أن تضعى فى اعتبارك كل المزايا والأضرار . إن قلبى يضطرب بين جوانحى رغم أنى أحبك ، أحبك ، أحبك .

اليزابث : [تتهمد بمطافة جارفة] أوه ! يا كنزى الغالى الثمين .

تدى : [غاضباً من نفسه لا من اليزابث] لا تكونى

بلهاء يا إليزابث ! لن تسمعى منى أنك حياىى التى لا حياة لى بدونها ، وغير ذلك من الكلمات الفارغة الجوفاء . إنك تعلمين أنك كل شىء لى فى العالم . [فى حالة يأس من ارتباكك] أوه . . . يا إلهى .

اليزابث : [بصوت مرتعش] أظن أن هناك ما يمكن أن نقوله ولم أكن أعرفه مقدماً ؟

تدى : [فى يأس] ولكنى لم أقل كلمة واحدة مما كنت أريد أن أقوله لك . إنى رجل أعمال وأريد أن أضع الأمر كله بين يديك بطريقة عملية فعلية . أتفهمين ما أقصده ؟

اليزابث : لا أعتقد أنك رجل أعمال ناجح .

تدى : [بجد] إنك لا تعرفين عمن تتكلمين . إنى رجل أعمال من الطراز الأول ، ولكن هذه

التجربة جديدة على... [بياس] لست
أدرى لِمَ لاتسير الأمور معى فى الطريق
الصحيح ؟

اليزابث

: وماذا علينا أن نفعل ؟

تدى

: أريدك أن تفهمى أنى لم أحبك لأنك جميلة

جداً - كلا فإنى لأحبك الحب نفسه لو

أنك عجوز شمطاء قبيحة . إنى أحبك أنت

وليس شكلك أو مظهرك . إن شعورى

نحوك ليس حباً فقط فليذهب الحب إلى

الجحيم ؛ ولكنى أميل إليك جداً ، أريد أن

أكون معك وبقربك . . إنى لأحس بالفرح

والسعادة عند ما أذكر أنك بجانبى ، إنى

لمغرم بك متيم جداً .

اليزابث

: [ضاحكة من خلال دموعها] لست أدرى هل

هذه طريقتك فى تقديم مشروعاتك التجارية ؟

تدى

: لعنة الله عليك ! ألا تتركين لى فرصة عرض

الأمر عليك ؟

اليزابث

: هل قلت لى لعنة الله عليك ؟

تدى

: أجل ! وإنى أعنى ما أقول .

اليزابث

: كانت نبرات صوتك تدل على أنك تعنى

ما تقول : يا لك من بطة جميلة .

- تدى : فى الحقيقة يا اليزابث أنت غير محتملة .
- اليزابث : إني لم أفعل شيئاً .
- تدى : إنك تخرجيني عن الموضوع . إن ما أريد قوله فى منتهى البساطة والوضوح . إني رجل أعمال عادى جداً .
- اليزابث : لقد قلت ذلك قبلاً !
- تدى : [بنفس] اسكتي . إني لا أملك «شئناً» زيادة عما أكسبه بعرق جبينى . لا مركز لى فى المجتمع . فى الحقيقة أنا لا شيء . . . أما أنت فغنية ولك مركز اجتماعى ممتاز ، ولديك كل ما تشتهين . . . ومن الوقاحة أن أقول لك أكثر من ذلك ، ولكن هناك شيء واحد فى العالم يبرز فى أهميته أى شيء آخر وهو الحب . . . ويعلم الله أنى أحبك . تخلى عن كل هذا يا اليزابث وتعالى إلى .
- اليزابث : أغاضب أنت منى يا تدى ؟
- تدى : غاضب جداً .
- اليزابث : يا حبيبي !
- تدى : إذا لم تكونى راغبة فى ، فقولى ذلك الآن ودعيني أرحل فوراً .
- اليزابث : تدى ! لا شيء يهمنى فى العالم كله إلا

أنت ! وسأذهب معك إلى حيث تأخذني
لأنني أحبك .

تدى : [وقد نهاى أمها] آه ! يا إلهي !
اليزابث : أيهمك ذلك إلى هذه الدرجة ؟ أوه . تدى !
تدى : [محاولا السيطرة على نفسه] لا تكوني حمقاء
يا اليزابث :

اليزابث : إنك أنت الأحمق ، ستجعلني أبكي .
تدى : يا لك من عاطفية لعينة !
اليزابث : إن العاطفي اللعين هو أنت ، وكلّ ثقة أنك
رجل أعمال فاشل .

تدى : لن يهمني رأيك فيّ ، ويكفيّ أني أصبحت
بفضلك في منتهى السعادة . ستصبح الحياة
معك نعيما وهناء .

اليزابث : أنت ملاك كريم يا تدى .
تدى : هلم نرحل بسرعة فلا فائدة من إضاعة
الوقت يا اليزابث .

اليزابث : ماذا تقول ؟
تدى : لا شيء . أحببت فقط أن أردد اسمك على
لساني : اليزابث !

اليزابث : أيها الأحمق .
تدى : أتجيدين الصيد ؟

اليزابث : كلا .

تدى : سأعلمك . إنك لا تدريكين جمال القيام من

المعسكر في الفجر ، والسير خلال الغابة

وعند ما يأتي المساء تشعرين بالتعب بينما

تزين النجوم صفحة السماء . . . جمال يسلب

اللب ، ولكفى لن أقص عليك شيئاً من هذا

حتى تصلى إلى قرار حاسم لقد قررت أن

أكون عملياً إلى آخر حد .

اليزابث : [مازحة معه] إن الشيء العمل الوحيد الذى

ذكرته ، هو أن الحب أهم ما فى الوجود

أليس عجباً أن يقع الإنسان فى حب من

يحبه ؟

تدى : أرى أنه من الأفضل أن نرحل حالا إذ

يخيل إلى أنه من غير اللائق أن نبقى فى هذا

المنزل بعد الآن .

اليزابث : لن يمكننا السفر الليلة ، فليس هناك أى قطار .

تدى : إذا سأرحل غداً ، وسأنتظرك فى لندن حتى

تتمكنى من اللحاق بى هناك .

اليزابث : لن أنوى ترك أى رسالة فى وسادة الدبابيس

كما فعلت الليدى كيتى . سأخبر أرنولد

بنفسى .

تدى : هل تنوين ذلك حقيقة ؟ ألا تعتقد أن ذلك
قد يسبب كثيراً من الارتباك والحرج ؟
اليزابث : يجب أن أواجه الموقف . إنى أكره أن
أكون ماكرة مخادعة .

تدى : إذا دعينا نواجه الموقف معاً .
اليزابث : كلا ! بل سأحدث إلى أرنولد وحدى .
تدى : سوف لا تتركين الفرصة لأى كائن أن
يوثر عليك ؟

اليزابث : كلا . [يمد يده إليها فتمسك بها ثم ينظر الواحد منهما
للآخر نظرة حب عفيفة رزينة يسمع من الخارج
صوت سيارة تقترب]

اليزابث : هاهى السيارة . لقد رجع أرنولد . يجب
أن أذهب لأغسل عيني فلانى لا أريدكم أن
يلحظوا أنى كنت أبكى .

تدى : حسناً [وعند ما تم بالخروج] اليزابث !

اليزابث : [تقف] نعم .

تدى : فليباركك الله .

اليزابث : [بإعزاز] أيها الأباه !

[تخرج اليزابث من الباب بينما يغادر تدى الحجرة من
باب الشرفة الزجاجى إلى الحديقة . تظل الحجرة
خالية لحظة . يدخل أرنولد . يجلس على مقعد ويخرج
بعض الأوراق من حقيبته . تدخل ليدى كبرى
فينفض أرنولد واقفاً]

ليدى كيتى : لقد رأيته تدخل . بالله لا تقف يا عزيزى
فايس هناك من مبرر لأن تكون جم
الأدب معى ؟

أرنولد : لقد دققت الجرس فى طلب فنجان من
الشاي .

ليدى كيتى : قد تنسح لنا الفرصة لحديث قصير . إننا لم
نقض وحدنا خمس دقائق منذ حضورنا .
أريد أن أتعرف عليك !

أرنولد : أحب أن أوكد لك أن وجود والدى هنا لم
يكن برغبتي أو اختياري .

ليدى كيتى : ولكنى فى منتهى السرور لرؤيته .
أرنولد : كنت أخشى أن تجدى أنت واللورد
پورتوس إجراجاً فى وجوده هنا .

ليدى كيتى : أوه كلا . كان پورتوس أعظم صديق له .
لقد كانا زميلين فى إيتون وفى أكسفورد .
لقد تحسن والدك كثيراً عن آخر مرة رأيته
فيها . لم يكن حسن المنظر عند ما كان شاباً
ولكنه الآن فى منتهى الجمال .

[يدخل الخادم وعلى يده صينية عليها أدوات الشاي]

ليدى كيتى : هل أصب لك فنجاناً من الشاي ؟
أرنولد : أشكرك كثيراً .

ليدى كيتى : هل أضع لك فيه بعض السكر ؟
أرنولد : كلا ! لقد أبطلت استعماله منذ قيام
الحرب

ليدى كيتى : يا لك من حكيم ! إن السكر ضار برشاقة
الجسم ، كما أن إبطال استعماله دليل على حبك
لوطنك . أليس عجيباً أن تسأل الأم ابنها إن
كان يتناول الشاي بسكر أو بدونه ؟ إن
الحياة لغريبة حقاً ومحنة بقدر غرابتها ،
وكم تطول لي الليالي وأنا مستلقية في فراشي
أفكر في غرائب الحياة وعجائبها فيضحكني
ذلك .

أرنولد : أخشى أن أكون بطبعي أميل إلى الرزانة .

ليدى كيتى : كم عمرك الآن يا أرنولد ؟

أرنولد : خمسة وثلاثون .

ليدى كيتى : هل وصلت هذا العمر حقيقة ؟ بالطبع

كنت طفلة عند ما تزوجت والدك !

أرنولد : فعلاً . فقد كان يقول لي دائماً إنك كنت

في الثانية والعشرين من عمرك .

ليدى كيتى : أوه ، هذا هراء . لقد كنت مجرد طفلة

عند ما تزوجت . طفلة .

أرنولد : أين اللورد پورتبوس ؟

ليدى كيتى : يا عزيزى . . . ليس من الكياسة أن تسميه

لورد پورتىوس ، لم لا تدعوه عمى هيوى ؟

أرنولد : لم يكن عمى يوماً ما .

ليدى كيتى : كلا ، ولكنه عراًبك^(١) . أنا واثقة أنك

ستجبهه عند ما نعرفه على حقيقته . كم

أتمنى أن تأتى أنت واليزابث لتمكثا معنا

بعض الوقت فى فلورنسا . إني أحب

اليزابث وأعبدها ، إنها جميلة حقاً .

أرنولد : إن شعرها جميل جداً .

ليدى كيتى : إنها لم تصبغه قط ، أليس كذلك ؟

أرنولد : أوه ، كلا .

ليدى كيتى : إني لمندهشة ، ولعلها الصدفة المحضة أن يكون

لون شعرها هو لون شعرى نفسه ، وهذا

يثبت أنك ووالدك يستهويكما الشيء نفسه

عامل الوراثة أليس كذلك ؟

أرنولد : ربما .

ليدى كيتى : بالطبع منذ أن التحقت بالكنيسة الكاثوليكية

لم أعد أعتقد فى شيء من ذلك . إن

« داروين » ونظرياته كلها شريرة خاطئة . .

(١) العراب أو الشهبان الشخص الذى يقف وكيلا عن الطفل وقت

العماد حسب بعض الطقوس المسيحية

بخلاف أنه من قلة الذوق أن تكون من
سلالة القروء .

[يدخل كلايف تشامبيون تشيبي من الحديقة]

كلايف : هل تسمحان لي بالتطفل عليكما ؟

ليدى كيني : تفضل يا كلايف . لقد كنت وأرنولد

في حديث ودى من القلب للقلب .

كلايف : جميل جداً .

أرنولد : أبى ! لقد مررت أثناء عودتى ببيتنا فى

«هارفى» . إن ما يقومون به فى هذا البيت من

ترتيبات هو محض إجرام لا أكثر ولا أقل .

كلايف : ماذا يفعلون هناك ؟

أرنولد : إن المنزل مبنى على طراز عهد الملك جورج

بينما يرجع كل أثاثه إلى العصر الفيكتورى

لقد قلت لهم رأى بهذا الخصوص، ولكن

دون جدوى فلأنهم متمسكون بأثاث البيت

وعفشه .

كلايف : لقد كان خليقاً بأرنولد أن يتخصص فى

تنسيق المنازل وتزيينها .

ليدى كيني : إن له ذوقاً رفيعاً ورثة عنى .

أرنولد : إن لى ميلا غريزياً لتزيين المنازل وتنسيقها .

ليدى كيتى : لقد جعلت هذا البيت جميلاً جداً
يا أرنولد .

كلايف : هل تذكرين يا كيتى أنه كان لدينا مقاعد
مريخة مغطاة بالقماش المطبوع المتعدد الألوان
عند ما كنا نعيش معاً هنا ؟

ليدى كيتى : لقد كان شكل هذه المقاعد مقبضاً مخيفاً
أليس كذلك ؟

كلايف : إن مسألة الذوق كانت ثانوية بالنسبة
لرجال ونساء تلك الأيام .

أرنولد : لقد أعدت دراسة المقعد الذى اشتريته ،
فند أن قال اللورد پورتيوس : إن أرجله غير
مستقيمة وأنا قاق غير مرتاح .

ليدى كيتى : لقد قال لك ذلك لأنه كان غاضباً غير
معتدل المزاج .

كلايف : إن طبعه قد أصبح سيئاً هذه الأيام يا كيتى .

ليدى كيتى : أجل إنه كذلك .

أرنولد : لقد دفعت فى هذا المقعد خمسة وسبعين

جنيهاً، وقلما يخدعنى أحد فلدى الإحساس
بمعرفة ما إذا كان الشيء الذى اشتريه هو
الصنف الحقيقى أم لا ؟

كلايف : لا تدع هذا الأمر يفاق نومك ويفسد عليك راحتك .

أرنولد : ولكن هذا ما حدث بالضبط يا والدى العزيز ، فقد حامت به ليلة الأمس . . كان حلما مزعجاً .

ليدى كيتى : ها هو هبوى .

أرنولد : سوف أذهب لأحضر كتاباً عن الآثار الإنجليزي القديم . إن فيه رسماً توضيحياً لمقعد يشابه المقعد الذى اشترите تماماً .

[يدخل پورتىوس]

پورتىوس : إنه والله اجتماع عائلى مكتمل !

كلايف : لقد كنت أفكر الآن فى أننا نمثل صورة

مرضية للبيت الإنجليزي الصميم .

أرنولد : سأعود بعد خمس دقائق . هناك ما أريد

اطلاعلك عليه يا لورد پورتىوس .

[يخرج أرنولد]

كلايف : هل تسمح بلعب البيكيه معى يا هبوى ؟

پورتىوس : لا أشعر بميل كبير للعبة البيكيه .

كلايف : إنك لم تكن قط لاعب بيكيه ممتاز يا هبوى

پورتىوس : يا عزيزى كلايف ، إنكم هنا فى إنجلترا

لا تعرفون ما هو البيكيه .

كلايف : إذا فلنلعب معاً لعلك تريح منى نقوداً .
 پورتیوس : لا أرغب فى اللعب معك .
 لیدی کیٹی : لست أدرى لماذا لا تريد اللعب معه
 یا هیوی .

پورتیوس : دعنى أصارحك بأن تصرفاتك لا تعجبني .
 كلايف : إني آسف لذلك ، ولكنى إن أتمكن من أن
 أعدك بتغيير طباعى بعد أن بلغت هذه السن
 پورتیوس : لست أدرى ما الذى تريده من بقائك هنا
 كل هذا الوقت الطويل ؟

كلايف : اعله الحب الطبيعى الذى يربطنى ببيتى .
 پورتیوس : لو أن لديك شيئاً من حسن التصرف
 لابتعدت عن طريقنا طول مدة وجودنا هنا
 كلايف : ياعزيزى هیوی لست أفهم وجهة نظرك
 إطلاقاً . إذا كنت أنا راغباً فى اعتبار
 « أن ما فات مات » فلماذا تعترض على
 ذلك ؟

پورتیوس : يا للعة ، لم يفت ولم يمت أى شئ .
 كلايف : ومع كل فأنا الجانب المحبى عليه .
 پورتیوس : كيف تعتبر نفسك الجانب المحبى عليه بحق
 الشيطان ؟

كلايف : لقد هربت مع زوجتى . ألم تفعل ذلك ؟

ليدى كيتى : لا داعى للخوض فى ذكرى الماضى . إني

لا أفهم لم لا نصبح كلنا أصدقاء ؟

پورتيوس : أرجوك ألا تتدخلى يا كيتى .

كيتى : أنا مغرمة جداً بكلايف .

پورتيوس : كلايف لا يساوى لديك قلامة ظفر ، ولكنك

تقولين ذلك لجرّد إثارتى .

كيتى : أبداً . بل إننى لأدري لماذا لا يأتى ويمكث معنا .

كلايف : كم أحب هذا . فالربيع فى فلورنسا ممتع

حقاً . هل لديكم وسائل التدفئة الحديثة ؟

پورتيوس : كلايف ، إني لم أحبك فى الماضى ، ولا أحبك

الآن ولن أحبك فى المستقبل .

كلايف : يا لى من تعس ! لقد أحبتك فى الماضى

وأحبك الآن ، وسأقيم على حبك .

كيتى : إنك ظريف جداً يا كلايف .

پورتيوس : إذا كنت تعتقدين ذلك ، فلماذا هجرته بحق

الشیطان ؟ !

كيتى : أتوبخنى لأنى أحبتك ؟ كم أنت بغیض إلی

أبعد حد !

كلايف : كفى ، كفى ، لا تتشاجرا .

كيتى : إنه مخطئ على طول الخط . إني أسهل

شخص فى العالم يمكن لإنسان أن يعيش معه
ولكنه يستنفد صبر القديسين .

كلايف : هدى من روعاك يا كيتى ولا تفضى
فعند ما يعيش اثنان معاً فلا بد من حدوث
أخذ وعطاء بينهما .

پورتىوس : لست أدرى عما تتكلم بحق الشيطان .
كلايف : لم يرغب عن ملاحظتى أنكما تميلان إلى الشجار

والمشاحنة قليلاً . وكثير من الأزواج يفعاون

ذلك ولو أن هذا يدعو إلى الأسى والأسف

پورتىوس : هل لى أن أرجوك أن تتفضل مشكوراً

فهم بشئونك الخاصة ، وتكف عن التدخل

فيما لا يعنيك ؟

كيتى : إن هذا من شأنه ، فن الطبيعى أنه يريدنى أن
أكون سعيدة .

كلايف : لى لأشعر بأعظم الحب نحو كيتى .

پورتىوس : إذن لماذا لم تكن تهتم بأمرها كما يجب ؟

كلايف : يا عزيزى هيوى ، لقد كنت أعظم صديق

لى فوثقت فىك ثقة عمياء . كان ذلك

تهوراً منى .

پورتىوس : بل كان ذلك منك خطأ لا يغتفر .

كيتى : لست أدرى ماذا تقصد بذلك يا هيوى ؟

پورتيوس : أرجوك ألا تحاولي بأية طريقة أن تهاجميني
يا كيتي .

كيتي : أوه ، إني أعلم ماذا تقصد .

پورتيوس : لماذا بحق الشيطان إذن تقولين أنك لا تعرفين
قصدي ؟

كيتي : عندما أفكر في أنني ضحيت بكل شيء في
الوجود من أجل هذا الرجل ! وأنه قد قُدِّرَ
على أن أعيش معه في منزل قدر مبنى من
الحجر والرخام ، خال من الشروط
الصحية لمدة ثلاثين عاماً كاملة .

كلايف : هل تقصدين القول بأنه لا يوجد في منزلكم
حمام ؟

كيتي : لقد كنت أغتسل في طست .

كلايف : أيتها المسكينة كيتي كم قاسيت وعانيت ؟

پورتيوس : في الواقع يا كيتي لقد أصبحت أضيق
بسماعي عن التضحيات التي بذلتها من أجل
وأظنك تفكرين أنني لم أضح بشيء .
لولاك أنت لكنت قد أصبحت الآن رئيساً
للوزراء .

كيتي : هذا هراء وكلام لا معنى له !

پورتيوس : ماذا تقصدين بذلك ؟ لقد كان كل إنسان

يتوقع أن أصبح رئيساً للوزراء . ألم يكن
منتظراً أن أكون رئيساً للوزراء يا كلايف ؟

كلايف : كان هذا بالتأكيد ما يتوقعه معظم الناس .

پورتيوس : كنت ألمع شاب في إنجلترا في زمانى ، وكنت

موعوداً بمقعد في مجلس الوزراء بعد

الانتخاب التالى .

كيتى : كانوا سيكتشفون حقيقة أمرك كما تكشفتم

لى . لقد سئمت سماع قولك : لى حطمت

مستقبلك . لم يكن لك أى مستقبل فأحطمه .

رئيس للوزراء ! ليس لك عقلية رئيس

الوزراء . وليست لديك صفاته . زد على

ذلك ، أنه فى عالم السياسة ليس الرجل هو

المهم بل السيدة التى تقف من خلفه تشد

أزره . لقد كان فى إمكانى - لو شئت -

أن أجعل من كلايف عضواً فى مجلس

الوزراء .

پورتيوس : كلايف !

كيتى : أجل . فبفضل جمالى وسحرى وقوة أخلاقى

ولباقى وذكائى كان فى استطاعتى تحقيق

أى هدف .

پورتيوس : لم يكن كلايف أكثر من سكرتير سياسي
لى ، ولو وليت رئاسة الوزارة لمنحته حكم
إحدى المستعمرات بدافع من العطف
والشفقة ولتكن استراليا الغربية مثلاً .

كيتى : [وقد لمعت عيناها بهريق الغضب] : وهل كان
معقولاً أن أدفن نفسى فى استراليا الغربية ؟
رغم ما أتمتع به من جمال ؟ وما لدى من
سحر وجاذبية ؟

پورتيوس : ربما كنت أمنحه حكم باربادوس .
كيتى : [بأنفعال] باربادوس ! فلتذهب باربادوس
إلى باربادوس .

پورتيوس : كان هذا أقصى ما يمكن أن تطمحى فيه .
كيتى : هذا كلام فارغ ! كنت سأحصل له على
وظيفة حاكم للهند .

پورتيوس : ما كنت أوافق أبداً على منحكم حكم الهند .
كيتى : كنت بلا شك ستعطينى حكم الهند .
پورتيوس : أوكد لك أنى ما كنت لأقبل هذا إطلاقاً .

كيتى : لقد كان جلالته الملك نفسه هو الذى
سيعيننى فى الهند . إن الأمة جميعها كانت
ستصر على ذلك . فلماذا أن أكون نائبة عن
جلالة الملكة هناك وإما لا شىء .

پورتيوس : أكرر عليك القول ، لأنه ما دامت مصالحي
الامبراطورية البريطانية . . . ألا لعنة الله
على كل ذلك إن طقم أسناني سيخرج من
فمي [ثم يسرع بالخروج من الحجرة]

ليدي كيني : هذا كثير حقاً . لم يعد في طاقتي تحمل ذلك
بعد الآن . لقد تحملته ثلاثين سنة وقد
نفدت صبري الآن .

كلايف : هدئي من روعك يا عزيزتي كيني .

كيني : لن أستمع بعد الآن لأي كلمة أخرى . لقد
انتهت إلى قرار حاسم . أجل لقد انتهت .
انتهيت . انتهيت . [ثم تتغير نغمة صوتها] لقد
تأثرت عند ما سمعت أنك لم تسكن في هذا
البيت أبداً بعد ما غادرته .

كلايف : إن العصافير الدورية قد تكاثرت عددها هنا
بشكل كبير ، إلا أن أصواتها أصبحت
تسبب لي شخصياً . . انزعاجاً وقلقاً .

كيني : وعند ما علمت أنك لم تزوج ثانية بعدى
أدركت أنك لا زلت نحبي .

كلايف : إنني واحد من الناس القليلين الذين يمكنهم
الاستفادة من تجاربهم .

كيتي : لا زالت الكنيسة تعتبرني زوجتك يا كلايف
إن الكنيسة في منتهى الحكمة . إنها تعلم أن
المرأة لا بد راجعة في النهاية إلى حبها الأول .
كلايف ، إنني أرغب في العودة إليك !

كلايف : يا عزيزتي كيتي لا يمكنني استغلال غضبك
الموقت من هوى لحملك على اتخاذ خطوة
أنا واثق من أنك ستندمين عليها أشد الندم .
كيتي : لقد طال انتظارك لي . اقبلني من أجل
أرنولد .

كلايف : هل ترين أننا في حاجة حقيقية للاهتمام بأمر
أرنولد ؟ لقد أمضى ثلاثين عاماً اعتاد
خلاها هذه الحياة وألفها .

كيتي : [ابتسامة خفيفة] لقد كنت في شبابي عابثة
مسرقة يا كلايف .

كلايف : ولكني لم أكن كذلك . لقد كنت شاباً
طيباً يا كيتي .

كيتي : أعرف ذلك .
كلايف : ولهذا فأنا سعيد الآن . لأن ذلك جعل في
إمكانني أن أصبح عجوزاً شريراً .

كيتي : عفواً . . .
[يدخل أرنولد وفي يده كتاب كبير]

- أرنولد : لقد وجدت الكتاب الذى كنت أبحث عنه .
- أين اللورد پورتيوس ؟ أليس هنا ؟
- كيتى : لحظة واحدة يا أرنولد . لأننى مشغولة مع أهلك .
- أرنولد : آسف جداً [ثم يخرج إل الحديقة]
- كيتى : زدنى إيضاحاً يا كلايف فلست أفهم شيئاً .
- كلايف : عند ما هربت منى يا كيتى كنت أشعر بأنى متألم حائق تعس . ولكنى فوق كل ذلك كنت أشعر بأننى أحمق .
- كيتى : يا لغرور الرجال !
- كلايف : ولكنى درست التاريخ ووجدت أن مأساتى هذه يشاركنى فيها معظم مشاهير الرجال .
- كيتى : لى كثيرة الاطلاع شخصياً ولطالما بدت لى هذه الحقيقة غريبة فعلاً .
- كلايف : إن تعليل ذلك سهل جداً . تكره النساء الذكاء وعند ما يجدن أن أزواجهن أذكاء ينتقمن منهم بالطريقة الوحيدة التى فى إمكانهن وذلك بجعلهم . . . يظهرون بالمظهر الذى أظهرتنى به .
- كيتى : هذا تعليل معقول ، وقد يكون صحيحاً .

كلايف : ولما كنت أشعر أنني قمت بواجبي حيال
 المجتمع الذي أعيش فيه ؛ لذلك قررت أن
 أكرس باقي حياتي لتسليية نفسي . ولما كنت
 قد ضقت بعضوية مجلس العموم ، فقد انتهزت
 الفرصة التي أناحتها لي فضيحة طلاقنا ،
 وقدمت استقالتى وقد شعرت بالراحة
 والسعادة عند ما وجدت أن إنجلترا سائرة
 في طريق التقدم والفلاح بدونى .

كيتى : ولكن ألم يعرف الحب طريقه إلى قلبك
 ثانية ؟

كلايف : حدثني بصراحة يا كيتى . ألا تعتقدين أن
 الناس كثير أما يثيرون ضجة مفتعلة لا لزوم
 لها حول الحب .

ليدى كيتى : إن الحب هو أعجب شيء في الوجود .
 كلايف : إنك عنيدة غير قابلة للإصلاح . هل
 تؤمنين حقيقة بأن الحب جدير بكل هذه
 التضحية في سبيله ؟

ليدى كيتى : يا عزيزى كلايف ، لا أجد حرجاً في أن
 أذكر لك أنني لو ملكت لإرجاع عقارب
 الساعة إلى الوراء لما بقيت وفيئة لك ، وإن
 كنت لن أهجرك .

كلايف : لقد ظلمت فريسة لحزن دفين بضع سنين ،
ولكنى وجدت أن هناك الكثير من
المخلوقات الجميلات الفاتنات على استعداد
لتسليتي وتعزيتي . وفي النهاية بدأت أضيق بهذا
الهم .

ليدى كيني : ومنذ ذلك الحين ؟
كلايف : ومنذ ذلك الحين سمحت لنفسى بمتعة
تقديم بعض المساعدات المالية لعدد كثير
من الشابات الجميلات ممن تراوح أعمارهن
بين العشرين والخامسة والعشرين .

ليدى كيني : لست أدرى سر افتتاح الرجال بالبنات
الصغيرات . إنى أعتقد أنهن يثرن فى النفس
الضيق والملل .

كلايف : إنها مسألة ذوق . إنى أحب الخمر المعتقة
وأصدقاء الصبا والكتب القديمة ، ولكنى
أعبد النساء الصغيرات . وفى عيد ميلادهن
الخامس والعشرين ، أهدى إلى الواحدة
منهن خاتماً من الماس ، وأنصحها ألا تضع
شبابها وجمالها مع عجوز محطم مثلى .
[يعقب هذا بالطبع منظر مؤثر للغاية] ولكن خطي
فى مثل هذه الظروف كانت تنجح دائماً

وعند ذلك أبدأ في تمثيل الدور نفسه مع
غيرها من الصغيرات الفاتنات .

ليدى كيتى : يا لك من عجوز شرير يا كلايف !
كلايف : هذا ما ذكرته لك ولكنى - يعلم الله -
سعيد جداً بذلك .

ليدى كيتى : لم يعد أمانى سوى طريق واحد أسلكه الآن .
كلايف : وما هو ؟

ليدى كيتى : [باهتسامة مفاجئة] هو أن أذهب لارتداء
ملابسى استعداداً لتناول طعام العشاء .

كلايف : عظيم جداً . وسأحذو حذوك .
[أثناء خروج كيتى تدخل إليزابث]

إليزابث : أين أرنولد ؟
كلايف : فى الشرفة . سأدعوه لك .

إليزابث : لا تزعج نفسك .

كلايف : لقد كنت ذاهباً [إلى الكوخ] لأرتدى ملابس

العشاء [أثناء خروجه] أرنولد [ثم ينصرف]

أرنولد : [تدخل إليزابث] يا إليزابث . لقد وجدت هنا

رسماً إيضاحياً لمقعد من نفس النوع الذى

اشتريته ويرجع تاريخه إلى عام ١٧٥٠ .

انظرى !

إليزابث : أمر يثير الاهتمام !

أرنولد : إني أريد أن أعرضه على هورتيوس [بحرك
مقدماً لم يكن موضوعاً في مكانه] إني أضيف
بالناس الذين لا يتركون كل شيء مكانه .
فما أكاد أضع شيئاً في موضعه حتى أجده
قد نقل منه .

اليزابث : لا بد أن ذلك يضايقك لدرجة الجنون .
أرنولد : بالتأكيد . وأنت على رأس قائمة المخطئين .
لست أدري لماذا لا تحسّن بالزهو مثلي
لأنك تملكين هذا المنزل ؟ إنه من أجمل
بيوت المقاطعة .

اليزابث : يبدو أنني لا أحوز برضايتك مطلقاً .
أرنولد [مازحاً] : لست أدري شيئاً عن ذلك . إن جل
اهتمامي موجه إلى موضوعين هما السياسة
وتزيين المنازل ، وإني لعلّ يقين من أن هذين
الموضوعين لا يهمانك في قليل أو كثير .
اليزابث : ليس هناك أي توافق في طباعنا يا أرنولد
أليس كذلك ؟

أرنولد : إن اللوم في ذلك لا يمكن أن يقع على .
اليزابث : أنا لا ألومك على شيء بل إني لا أجد فيك
عيباً واحداً .

أرنولد : [مندهشاً لنفستها ذات المعنى] يا لله ! ما معنى

كل ذلك ؟

اليزابث : حسناً . لا أرى فائدة في تركك تتخبط في

الظلام على غير هدى . إنى أرجوك أن
تدعنى أذهب لحال سبيلى .

أرنولد : تذهبن إلى أين ؟

اليزابث : بعيداً عنك ، وإلى الأبد .

أرنولد : يا طفلى العزيزة ، عم تتحدثين ؟

اليزابث : أريد أن أصبح حرة طليقة .

أرنولد : [بفضول أكثر من قلق] لا تجعلى من نفسك

أضحوكة يا عزيزتى . إن أعصابك مرهقة

وتحتاجين إلى بعض التغيير . سأخذك إلى

باريس لنقضى أسبوعين هناك إذا أردت .

اليزابث : لو لم أكن قد انتهيت إلى قرار حاسم لما

تحدثت إليك بخصوص ذلك . لقد مضى

على زواجنا سنين ثلاث ، وللأسف لم يكن

هذا الزواج ناجحاً أو موفقاً ، وبكل

صراحة لقد شئمت نوع الحياة التى تريدنى

أن أحيائها معك .

أرنولد : حسناً إذا سمحت لى أن أبدى رأيى ، فإن

الخطأ فى كل ذلك يقع عليك . إننا نجبا

حياة مفيدة ممتازة ، كما أننا على صلة
بالكثيرين من علية القوم وأفاضل الناس .

اليزابث : إلى أوافق جدلاً على أن الخطأ في ذلك يقع
على ، ولكن ما جدوى ذلك الآن؟ إلى في
الخامسة والعشرين من عمري فقط ، وإذا
كنت قد ارتكبت غلطة فأمامي متسع من
الوقت لإصلاحها .

أرنولد : إلى لا أريد أن آخذ كلامك هذا على
محمل الجد .

اليزابث : ألا ترى أنني لا أحبك ؟

أرنولد : يوسفى ذلك جداً . ولكن لم يجبرك أحد على
الزواج منى . وكما يقول المثل « لقد أعددت
فراشك بنفسك » وأخشى أن يكون من
واجبك أن تنامى فيه ؟

اليزابث : هذا المثل أكثر الأمثلة الانجليزية مجافاة
للصواب ، فلست أدري ما الذى يجبر
الإنسان على النوم فى الفراش الذى أعده
لنفسه وأمامه أرض الله واسعة الفضاء .

أرنولد : بحق السماء ليس هذا وقت المزاح يا اليزابث

اليزابث : لقد قررت هجرك يا أرنولد بصفة نهائية .

أرنولد : كفى بالله يا إليزابيث ولتحمكى عقلك فان
تجدى سبباً واحداً تتركينى من أجله .

إليزابيث : ولكن ما الذى يرغبك فى الاحتفاظ بامرأة
مرتبطة بك ما دامت تصر هى على أن
تصبح حرة طليقة ؟

أرنولد : الحقيقة أنى أحبك يا إليزابيث .
إليزابيث : أما كان الأجدر بك أن تخبرنى بذلك قبل
الآن ؟

أرنولد : كنت أظنك تعتبرين حى لك قضية مسلماً
بها ، وأعتقد أنك لا تتوقعين من أى رجل
أن يستمر فى مطارحة زوجته الغرام بعد
أن مضى على زواجه منها ثلاث سنوات .
إن مشاعلى عديدة جداً ، كما أنى شديد
الاهتمام بالسياسة ، وإنى أعمل كالدابة ليل
نهار لأجعل هذا البيت جميلاً يليق بك .
وفوق كل هذا وذلك فإن الرجل منا ليتزوج
ليصبح له بيتاً ينشد فيه الراحة ، ثم لأنه
لا يريد أن يشغل باله بالمسائل الجنسية وما
أشبهها . لقد أحببتك عند ما رأيتك أول
مرة ولا زلت أحبك حتى الآن .

إليزابيث : إنى آسفة لذلك ، ولكنك ما دمت لا تحب

الشخص الذى يحبك فإن محبته لك تصبح
عديمة لقيمة لا تهملك فى قليل أو كثير .

أرنولد : لعمري إن هذا نكران للجميل . لقد عملت
كل ما فى وسعى لإسعادك .

اليزابث : إنك دائم العطف على والشفقة بى ، ولكنك
تطلب منى أن أعيش حياة لا أحبا ولا
أصلح لها . . . إنى فى شدة الأسف إذ سأكون
السبب فى تأملك ، ولكنى أرجوك أن تدعنى
أذهب .

أرنولد : هذا عبث ! إنى أكبر منك سنأ وأكثر منك
خبرة وتجربة وأؤكد لك أنه من الخير لك
ولى ألا أفعل شيئاً مما تطالبين .

اليزابث : [باسمة] وكيف يمكنك أن تمنعنى ؟ أملك
ستقف على الباب بالقفل والمفتاح !

أرنولد : من فضلك لا تتحدثى إلى كما لو كنت طفلاً
غريباً . إنك زوجتى وستبقين زوجتى .

اليزابث : وأى حياة هذه تلك التى سنحياها معاً ؟
أنتوقع لى أو لك أى نصيب من السعادة
أو الهناء ؟

إذاً ما الذى تقترحينه بالضبط ؟
أريد منك أن تدعنى ، أطلب الطلاق منك .

أرنولد : [مدهشاً] منى أنا ! أشكر كل الشكر .
أنتخيلين أننى سأضحى بمستقبلى من أجل
نزوة طارئة من نزواتك ؟

اليزابث : كيف يقضى ذلك على مستقبلك ؟
أرنولد : إن مقعدى فى مجلس العموم يتأرجح
بطبيعته ، فإذا كنت طرفاً فى قضية طلاق
فسيستحيل على الاحتفاظ به حتى ولو كان
طلاقاً معداً حسب خطة موضوعة من قبل
كما هو الحال فى معظم قضايا الطلاق فى هذه
الأيام . إن فى الطلاق قضاء تاماً على
مستقبلى ؟

اليزابث : إنه لأشد قسوة على المرأة أن تطلق !
أرنولد : [وقد اعتراه الشك فجأة] ماذا تقصدين من
كل ذلك ؟ أنتحين رجلاً آخر ؟

اليزابث : أجل .
أرنولد : من هو ؟
اليزابث : تدى لوتن !

[تأخذه الدهشة لحظة ثم ينفجر ضاحكاً]
أرنولد : يا طفلى المسكينة كيف يمكنك أن
من نفسك أضحوكة إلى هذا -
فقير معدم لا يملك «شئناً» واحداً

شباب من عامة القوم ورعاعهم . لعبري
إنه أمر يثير الضحك لا الغضب .

اليزابث : لقد وقعت في حبه بكل قوتي يا أرنولد .
أرنولد : ومن الأفضل أن تنهض من عثرتك بكل
قوتك .

اليزابث : إنه يريد الزواج مني .

أرنولد : بلا شك . إلى الجحيم به .

اليزابث : لا فائدة من التحدث بهذه اللهجة .

أرنولد : هل هو عشيقك ؟

اليزابث : كلا . بالتأكيد لا .

أرنولد : إنه سافل حقير استغل كرم ضيافي
وأوقعك في حباله .

اليزابث : إنه لم يحاول مرة أن يقبلي أبداً .

أرنولد : لو كنت مكانك لحاولت قول ذلك الهراء

للمغفلين فقط عسى أن تجدى بينهم من
يصدقك .

اليزابث : إن رغبتى في أن لا أرتكب شيئاً دنيئاً هي

التي دفعتني إلى مقابلتك لأعرض عليك
الأمر بصراحة ودون مواربة .

أرنولد : منذ متى وأنت تفكرين في ذلك ؟

اليزابث : لقد أحببت تدي منذ أن عرفتته .

أرنولد : ولم تفكرى فى أبدأ كما أعتقد !
اليزابث : أوه ، كثيراً ما فكرت فيك . إني نعمة
من أجلك ، ولكنى لا أملك من أمرنفسى
شيئاً ، وكم حاولت وتمنيت أن أحبك ولكنى
فشلت .

أرنولد : إني أنصحك بالتفكير والتروى قبل أن
تقدمى على اتخاذ أى خطوة طائشة .

اليزابث : لقد أطلت التفكير بكل عناية واهتمام .
أرنولد : لست أدري بالله لم لا أضربك ضرباً مبرحاً .
لعل هذه هى الطريقة المثلى التى ترجعك
إلى صوابك .

اليزابث : أوه يا أرنولد لا تصعب الأمور .

أرنولد : كيف تنتظرين منى أن أتصرف إذن ؟ لقد
جئت إلى وأنت فى منتهى الهدوء لتقولى :
« لقد سئمت الحياة معك . لقد مضى على
زواجنا ثلاث سنين ، ولكنى أحب أن أتزوج
رجلاً غيرك الآن سأهدم بيتك هل هناك
مانع ؟ أليدليك اعتراض على أن أطلب
الطلاق منك ؟ قد يعظم هذا مستقبلك ؟
أليس كذلك ؟ » كلا يا ابنتى كلا نلست
مغفلاً لهذه الدرجة الفظيعة .

اليزابث : إن تدى سيرحل عن هنا فى أول قطار غداً
وفى أندرك أنى سألقى به فور انتهائه من
عمل الترتيبات الضرورية .

أرنولد : أين هو ؟

اليزابث : لست أدرى . لعله فى حجرفته .

[يذهب أرنولد إلى الباب وينادى]

أرنولد : جورج ! [يظل أرنولد لحظة يتمشى فى الحجرة
جثة وذهاباً وهو نافذ الصبر واليزابث تراقبه ثم
يدخل الخادم]

الخادم : نعم يا سيدى

أرنولد : قل لمستر لوتن أن يحضر إلى هنا حالا

اليزابث : اطلب من مستر لوتن أن يتفضل بالحضور
هنا لحظة واحدة إن لم يكن لديه أى مانع .

الخادم : سمعاً وطاعة يا سيدتى [ثم يخرج الخادم]

اليزابث : ماذا تنوى أن تقول له ؟

أرنولد : هذا أمر يخصنى وحدى .

اليزابث : لو كنت مكانك لما أثرت أى فضيحة .

أرنولد : ليس فى نيتى إثارة أى فضيحة [ثم ينتظران]

فى صمت [لماذا صممت على دعوة والدتى
للحضور إلى هنا ؟]

اليزابث : يبدو لى أنه من السخافة أن يظن البعض أننى
تمثلت بها وأنا على وشك . . .

أرنولد

: [مقاطاً] اتخذ الخطوة نفسها التي سبق لها
أن اتخذتها . حسناً لقد رأيت والدتي فما
رأيتك فيها ؟ أتعقدين أنها كانت على
صواب عند ما هربت مع حبيبها ؟ أهذه هي
السيدة التي يتمنى الإنسان أن تكون أمه
مثلها ؟

اليزابث

: إني أشعر بالحنين وأنا حزينة من أجلها ،
إنه لأمر مفزع مخيف . . . لقد حدث هذا
الصباح أن شاهدت وردة في الحديقة ، وقد
عبث بها الريح فتناثرت أوراقها الباهتة
الذابلة ، وكانت تبدو بين الأزهار الياقة
كالعجوز الشمطاء التي لطخت وجهها
بالمساحيق ، بينما كانت منذ بضعة أيام نضرة
يانعة فواحة العطر . إن شكلها القبيح
اليوم لا يقلل من جمالها السابق . وهذه حقيقة
هذا شعر ! رباه ! أهذه لحظة مناسبة لقرض
الشعر ؟

أرنولد

[يدخل تدي وقد ارتدى ملابس العشاء]

تدي

: [مخاطباً اليزابث] أتريدين مني شيئاً ؟

أرنولد

: لقد أرسلت في طلبك [ينظر تدي من أرنولد

إلى اليزابث فيدرك أن شيئاً قد حدث] متى يمكنك
مغادرة هذا البيت ؟

تدى : كنت أنوى السفر غداً صباحاً، ولكن يمكنى
السفر الآن إذا كنت تريد ذلك .

أرنولد : إني أريد ذلك .
تدى : حسن جداً . ألدبك شىء آخر تريد أن
تقوله لى ؟

أرنولد : أنظن أنه من الشرف والنبل أن تنزل ضيفاً
فى بيتى فتغازل زوجتى وتوقعها فى حبك ؟
تدى : كلا . بالتأكيد . إني لم أكن سعيداً لهذا
الوضع بالمرة ، وهذا ما جعلنى أريد الرحيل
من هنا .

أرنولد : أقسم بشرى أنك بليد الإحساس .
تدى : أخشى ألا تكون هناك أية فائدة فى الاعتذار
والأسف وما شابه ذلك، ولعلك الآن تعرف
الموقف تماماً .

أرنولد : هل تنوى حقيقة الزواج من اليزابث ؟
تدى : نعم . وإني أحب أن أتزوجها فى أول فرصة
ممكنة .

أرنولد : ألم تحاول أبدا التفكير فى ؟ ألم يدخل فى
حسابك أنك بذلك تهدم بيتى ، وتحطم
سعادتى ؟

تدى : وأى سعادة ترجوها من بقاء الزباث معك
يا سيدى إذا كانت لا تكن لك عاطفة
الحب .

أرنولد : دعنى أوكد لك أنى أرفض أن أترك مغامراً
مثلك لا يساوى قلامة ظفر يستغل طيش
زوجتى ليحطم بيتى . إنى أرفض أن
يكون هناك طلاق . قد لا يمكنى أن أمنعها
من الذهاب معك إذا صممت على أن تجعل
من نفسها أضحوكة وسخرية للعالمين ، ولكنى
أقول لك — بصفة نهائية — إن شيئاً ما فى
العالم لن يحملنى على أن أطلقها .

الزباث : سيكون ذلك منك إجراماً فظيماً يا أرنولد .
تدى : فى إمكاننا أن نضطرك إلى ذلك قسراً .
أرنولد : كيف ؟

تدى : إذا هربنا معاً فى العلن ، وعلم بذلك الناس
أصبح لزاماً عليك أن ترفع عليها قضية
تطلب فيها الطلاق .

أرنولد : إنى أعد كما أنه قبل أن تمضى أربع وعشرون
ساعة على مغادرتكما هذا المنزل سأسافر إلى
مصييف بريتون ومعى إحدى الغانيات ، وبذلك
لن نتمكن لا أنا ولا هى من الحصول على

الطلاق، لقد كفانا ما حدث في العائلة من
طلاق . هيا اخرج من هنا الآن . اخرج .

اخرج

[ينظر تدى في شك إلى إليزابث]

إليزابث : [بأسمة] لا تقلق بالك من أجلي . سأكون

بخير .

أرنولد : اخرج ! اخرج !



الفصل الثالث

المنظر

كما هو — والزمن مساء اليوم نفسه
الذي جرت فيه حوادث الفصل الثاني .
أرنولد وكلايف تشامبون تشيني في ثياب
العشاء — يرى كلايف جالساً ، أما أرنولد
فيتمشى في الحجرة رائحاً غادياً وهو قلق
مهموم .

كلايف : إني أعتقد أنك إذا اتبعت نصيحتي حرفياً
فلأنك ستحقق غرضك .

أرنولد : لا أحب ذلك كما تعلم . إنها لا تتفق مع
مبادئ .

كلايف : يا عزيزي أرنولد ، كلنا ننتظر لك مستقبلاً
سياسياً ممتازاً في القريب العاجل ، وأرجو أن

تدرك قبل فوات الأوان أن أهم فائدة للمبدأ
هى إمكان التوضيحية به عند الاقتضاء .

أرنولد : ولنفرض أن هذه المحاولة لم تنجح فما العمل ؟
إن عدد النساء يفوق الحصر ، ولكل منهن
طبائعهما وعاداتها .

كلايف : هذا كلام أجوف ! إن معشر الرجال
عاطفيون ، أما المرأة فهى دائماً على استعداد
للتوضيحية بنفسها كلما وجدت أمامها فرصة
لذلك لأنها تجد فى التوضيحية بنفسها لذة
كبيرة .

أرنولد : إني فى حيرة من أمرك يا والدى ولست
أدرى حقيقة نظرتك للموضوع . . هل
أنت مداعب هازل أم ساخر مرير ؟

كلايف : لست بهذا ولا بذلك يا ولدى العزيز ،
وأنا رجل يقول الحق ، ولما كان الناس لم
يتعودوا قول الحق فتراهم كثيراً ما يسيئون
فهمه ، ويظنونهم مرة دعاية وفكاهة ، ومرة
أخرى تهكماً وسخرية .

أرنولد : [فى قلق] من الظلم أن يحدث كل ذلك لى .
كلايف : احفظ بهدوئك يا ولدى ، ونفذ ما أقوله لك .

[تدخل اليزابث وليدى كيتى . ليدى كيتى تلبس
ثوباً مسائلاً فاخراً]

اليزابث : أين اللورد پورتىوس ؟

كلابث : إنه فى الشرفة يدخن سيجاراً [يذهب إلى الباب

وينادى] هيوى !

[يدخل اللورد پورتىوس]

پورتىوس : [فى صوت أجش] نعم ! أين مسز شينستون ؟

اليزابث : إنها تشكو من الصداع وقد ذهبت إلى

حجرة نومها .

[عند ما يدخل پورتىوس الحجرة تقلب ليدى كيتى

شفتيها فى كبر واستعلاء ، ثم تمسك بجريدة مصورة .

ينظر إليها پورتىوس بعدم ارتياح ثم يمسك بجريدة

مصورة أخرى ، ويختار لنفسه مقعداً فى الطرف الآخر

من الحجرة ويجلس فيه . إنه والليدى كيتى متخاصمان

لا يكلم أحدهما الآخر]

كلابث : لقد ذهبت الآن مع أرنولد إلى كوخى .

اليزابث : لقد كنت فى دهشة من أمركما ، فلم أكن

أعرف أين ذهبتما ؟

كلابث : لقد وجدت صدفة وقت العصر مجلداً يحتوى

على صور فوتوغرافية قديمة ، وكنت أنوى

إحضاره معى قبل العشاء ولكنى نسيت ،

لهذا ذهبت مع أرنولد إلى كوخى

لإحضاره .

اليزابث : أرجو أن تسمح لي برويته . إلى أحب
الصور القديمة !

[يعطيها جلد الصور ، فتجلس واضعة إياه على ركبتيها
ثم تبدأ في قلب صفحاته . يقف كلايف خلفها .
تبادل ليدى كيتي وپورتياوس نظرات مختلسة ، كل
منهما للآخر] .

كلايف : فكرت في أنك قد تجددين تسلية في رؤية
السيدات الجميلات ، وماذا كان شكلهن
منذ خمسة وثلاثين عاماً مضت ؟ لقد كان
ذلك عصر السيدات الفاتنات .

اليزابث : أظن أنهن كن أبهى جمالا مما هن الآن ؟
كلايف : طبعاً ! طبعاً ! قد ترين الآن عدداً كبيراً
من الشابات الصغيرات الجميلات ، ولكن
السيدات الفاتنات نادرآت جداً .

اليزابث : ألا تبدو ملابسهن غريبة ؟

كلايف : [مشيراً إلى إحدى الصور] هذه مسز لانجترى .

اليزابث : إن أنفها في منتهى الجمال .

كلايف : لقد كانت أجمل مخلوقة تقع عليها العين .

لقد كان الرجال يقفون فوق مقاعدهم حتى
يتمتعوا أنظارهم برويتها . لقد خرجنا معاً
للزفة على ظهور الجياد مرة ، وكان حتماً علينا

أن نغلق باب الاسطبل حتى تتمكن من ركوب حصانها لأن الزحام كان شديداً .

: ومن هذه ؟

اليزابث

: ليدى لونزديل وتلك هي ليدى ضضلى

كلايف

: هذه ممثلة ، أليس كذلك ؟

اليزابث

: ممثلة فعلا . لمن تيرى . يا لله ! كم كنت

كلايف

أحب هذه السيدة !

: [مبتسمة] العزيزة لمن تيرى !

اليزابث

: وهذا هو « بوايز » . لم أر في حياتى من هو

كلايف

أكثر أناقة من هذا الرجل . وهذا هو

أوليفر مونتاجو وصاحب النظارة هذا هو

هنرى مانرز .

: إنه وسيم أليس كذلك ؟ ومن هذه ؟

اليزابث

: إنها مارى اندرسن . يا ليتك قد رأيتها

كلايف

تمثل دورها في « قصة شتاء » لقد كان

جمالها يخطف الأبصار . انظري هذه هي

ليدى راندولف ، وهذا هو برنار اوزبرن

أكثر الرجال الذين عرفتهم لباقة وذكاء .

: هذه صبور في منتهى الخلاوة . إني معجبة

اليزابث

بشبابهن المتنفخة المنفوشة ، وهذه الأكمام

الضيقة .

كلايف : كم كانت أجسامهن فخمة ! ففي تلك الأيام لم يكن مفروضاً في المرأة أن تكون رفيعة مثل المسمار ، ولا مفرطحة مثل طبق العجة .

اليزابث : ولكن كيف كن يتحملن كل هذه الأربطة والشرائط حول أجسامهن ؟

كلايف : لم يكن من عادتهن لعب الجولف في ذلك العهد ، ولكنهن كن يخرجن للصيد في قبعات طويلة ، وملابس سوداء محتشمة ، كما كانت أيديهن تمتد بالإحسان والبر إلى فقراء القرية .

اليزابث : وهل كان الفقراء يحبون ذلك ؟

كلايف : أجل فقد كانوا فقراء ، وفي حاجة إلى

الإحسان . أما في لندن فقد كان من عادة

السيدات أن يخرجن للنزهة في عرباتهن في

حدائق « هايدبارك » عصر كل يوم كما كن

يحضرن حفلات العشاء الفخمة حيث

يقابلن صديقاتهن وزملاءهن ، وعند ما

كانت مدام « الباني » أو « باتي » يغنيان في

الأوبرا كانت تحجزهن « البناوير » في الأوبرا .

اليزابث : أوه ! يا للركة والجمال ! من هذه بحق السماء ؟

كلايف : هذه ؟

اليزابث

: إنها لتبدو رقيقة مثل قطعة الصيني النقية
الفاخرة . أليست جميلة في فرائها الذي
يغطي جزءاً من وجهها والثلج يتساقط عليها .
: لقد كان النساء في ذلك الوقت يفضلن أن
تؤخذ هن الصور وسط عاصفة ثلجية
صناعية .

كلايف

اليزابث

: يا لها من ابتسامة حلوة ! ابتسامة مأكرة
صرخة ! خبيثة لطيفة ! أوه ، كم أتمنى
لو كنت أشبهها . بربك قل لي من هي ؟
: ألا تعرفينها ؟

كلايف

اليزابث

: كلا .

كلايف

: لماذا - إنها كيتي .

اليزابث

: لبيدي كيتي ! [مخاطبة لبيدي كيتي] أوه
يا عزيزتي ! انظري بالله ! إنها صورة
تسلب العقل [ثم تقدم لها مجلد الصور] ليم كم
تخبريني أنك كنت على هذه الدرجة من
الأبهة والجمال ! لا غرابة إذا أحبك الناس
أجمعون .

[تأخذ لبيدي كيتي مجلد الصور من إيزابث ، وتنظر
فيه ، ثم تدعه يسقط من يديها ، ثم تخفي وجهها بين
كفيها وتبدأ في البكاء]

اليزابث

: [في دعر ودمشة] ماذا حدث يا عزيزتي ؟

ماذا جنيت ؟ إني آسفة جداً .

ليدى كيتى : لا . . . لا تكلمينى . . . اتركينى وحدى . .
غباء منى أن أبك .

[تنظر إليها إليزابث لحظة وهى حيرى مضطربة ، ثم
تستدير وتضع ذراعها فى ذراع كلايف وينصرفان إلى
الخارج إلى الشرفة] .

إليزابث : [تهمس فى أذنه وهما خارجان] هل فعلت ذلك
عامداً ؟

[ينهض پورتيوس واقفاً ، ويذهب إلى ليدى كيتى .
يضع يده على كتفها . يظل على هذا الوضع فترة
قصيرة]

پورتيوس : أخشى أن أكون قد أغلظت لك القول قبل
العشاء يا كيتى .

كيتى : [تمسك بيده الموضوعة على كتفها] لا تهتم بالأمر
كثيراً . لقد أرهقتك بتصرفاتى .

پورتيوس : أنت تعامين أنى لم أكن أقصد ما قلت .

ليدى كيتى : كما لم أكن أقصد أنا من كل ما قلت شيئاً .

پورتيوس : إني أعلم بالطبع أنى ما كنت لأصبح رئيساً
للوزراء مطابقاً .

ليدى كيتى : كيف يمكنك النطق بهذا الكلام السخيف
يا هيوى ؟ لو أنك بقيت على ضايتك

(1904-1905)

بالسياسة لما كان لغيرك من الناس أية فرصة
ليصبح رئيساً للوزراء .

پورتیوس : لم تكن لى الصفات اللازمة لهذا المنصب
الخطير .

ليدى كيتى : إن صفاتك لأفضل وأسمى من صفات كل
من قابلتهم من الناس فى حياتى .

پورتیوس : وفوق ذلك لم أكن راغباً فى هذا المنصب .

ليدى كيتى : أوه ، ولكنى كنت سأزهو بك وأفخر .
كنت ستصبح رئيساً للوزراء دون شك .

پورتیوس : كان فى نيتى إعطاؤك حكم الهند . كانت
وظيفة مناسبة فى رأى الجميع .

كيتى : ما كنت أهتم بالهند أو بغيرها ، بل لعلى كنت
أقنع وأكتفى بحكم استراليا الغربية .

پورتیوس : أنظنين يا عزيزتى ، أنى كنت أرضى أن
أدعك تدفينين نفسك فى استراليا الغربية ؟

ليدى كيتى : أو بأربادوس .

پورتیوس : أبداً . بل كنت سأبقيك قريبة منى فى
لندن .

[يلتقط مجلد الصور ، ويحاول النظر إل صورة

كيتى . ولكنها تضع يدها عليها فتخفيها]

ليدى كيتى : كلا . لا تنظر إليها [يبعد يدها عن الصورة]

پورتیوس : لا تكونى حمقاء يا كيتى .
ليدى كيتى : أليس كريهاً أن يتقدم بى العمر ، وأصبح
عجوزاً ؟

پورتیوس : إنك لم تتغيرى كثيراً يا كيتى .
ليدى كيتى : أوه يا هيوى ، ما هذا الهراء الذى تقوله ؟
پورتیوس : كل ما فى الأمر أنك ازددت نضوجاً عن
ذى قبل ، وأن المرأة لتزيد فتنها متى تم
نضوجها .

ليدى كيتى : هل تعتقد ذلك حقيقة ؟
پورتیوس : أقسم لك بحيايتى أن هذا ما أعتقد .
ليدى كيتى : ألا تقول ذلك لمجرد إدخال السرور إلى
نفسى ؟

پورتیوس : كلا . كلا .
ليدى كيتى : إذاً دعنى أعيد النظر إلى صورتى . [تأخذ منه
مجلد الصور ، وتنظر إلى صورتها فى حب وإعزاز]
الواقع أنه ما دام الجهاز العظمى سليماً فلن
يهم العمر ، إذ يمكن للإنسان أن يبدو على
الدوام جميلاً .

پورتیوس : [مبتسماً وفى لهجة حانية كما لو كان يتحدث إلى طفل]
لقد كان غباء منك أن تبكى .
ليدى كيتى : لم يئلف البكاء رموش عيني . أليس كذلك ؟

پورتیوس : كلا مطلقاً .
ليدى كيتى : إن الصنف الذى أستعمله الآن فى منتهى
الجودة . إن الرموش لا تلتصق ببعضها
كذلك ؟

پورتیوس : إلى متى تودين البقاء هنا يا كيتى ؟
ليدى كيتى : إلى على استعداد تام للسفر وقتما تحب .
پورتیوس : إن « كلايف » يضايقتى ويرهق أعصابى ،
فلست أحب الطريقة التى يحوم بها طول
الوقت حولك .

ليدى كيتى : [مندهشة فى هبة] هبوى أتقصد أنك تحس
بالغيرة من كلايف المسكين ؟
پورتیوس : إلى لا أغار منه طبعاً ، ولكنى لا أقر الطريقة
التي ينظر بها إليك .

ليدى كيتى : هبوى : لك أن تلقى بى من أعلى السلم
وفى مقدورك أن ترمينى على البلاط ، ثم
تجرنى من شعر رأسى ، فلن أهتم بذلك ما دمت
تغار على . لن أهرم ولو عمرت القرون
ما دمت تحببى .

پورتیوس : ألا لعنة الله على كل ذلك ! لقد كان هذا
الرجل زوجاً لك .

ليدى كيتى : يا عزيزى هبوى . ما كان له قط مثل

طريقتك. إنك إذا دخلت مكاناً ما — التفت
حولك الأنظار ، وهتف الكل قائلين : بحق
السماء من هذا ؟

پورتيوس : ماذا تقولين ؟ أنتقدبن ذلك حقيقة ؟ قد
يكون في ذلك بعض الصدق . . . ليقل
الناس ما يريدون ، ولكن حينما يكون
الإنسان . . من طبقة رفيعة . . أعني . .
بحق الشيطان أنك تعلمين ما أعني .

ليدى كيتي : لقد تدهور كلايف إلى درجة مخيفة منذ
أن تركناه .

پورتيوس : ما رأيك في العودة إلى إيطاليا ، والذهاب إلى
سان ميشيل ؟

ليدى كيتي : آه يا هيوى ! لقد مضى وقت طويل منذ
أن كنا هناك .

پورتيوس : ألا نحبن رؤيتها مرة أخرى ، ولو مرة
واحدة فقط ؟

ليدى كيتي : أتذكر المرة الأولى التي زرناها فيها ؟ لقد
كانت جنة لم أر مكاناً يفوقها جمالا ، لم
يكن قد مضى على سفرنا من إنجلترا أكثر
من شهر ، وقلت لى أتمنى أن أقضى العمر
كله هناك .

پورتیوس : أذكر كل ذلك طبعاً ، ولم يمض أسبوعان
حتى كان كل شيء فيها ملك يمينك .

ليدى كيتى : لقد كنا فى منتهى السعادة هناك يا هيوى .
پورتیوس : فلنرجع إليها مرة أخرى .

ليدى كيتى : لن أجسر لأنها ستكون مليئة بأشباح الماضى .
إن الإنسان لا يجب أن يزور المكان الذى
تذوق فيه السعادة مرة أخرى ، وإلا كسر
الحزن قلبه .

پورتیوس : هل تذكرين كيف كنا نجلس فى شرفة تلك
القلعة القديمة ، ونطيل النظر إلى الادرياتيک؟
لقد كنا نتخيل أن العالم لم يعد فيه أحد
سوانا : أنت وأنا يا كيتى .

ليدى كيتى : وكنا نظن أن حبنا خالده على الزمن .
[يدخل كلايف تشامبيون تشيى]

پورتیوس : ألا توجد فرصة للعب البريدج هذا المساء ؟
كلايف : أعتقد أنه لن يمكننا جمع أربعة منا .

پورتیوس : إن سفر هذا الولد المفاجئ قد سبب لنا
الكثير من المضايقة والتعب ! كما أنه لم
يكن لاعباً ضعيفاً .

كلايف : من ؟ تدى لوتن ؟
ليدى كيتى : لقد كان غريباً منه أن يسافر دون أن

يقول كلمة وداع لأى منا .

كلايف : إن شباب هذه الأيام قلما يهتمون بذلك .

پورتيوس : أعتقد أنه لا توجد قطارات فى الليل .

كلايف : لا توجد أى قطارات ، فأختر قطار يغادر

المدينة فى السادسة إلا ربع مساء .

پورتيوس : كيف سافر إذن ؟

كلايف : لست أدرى ، ولكنه ذهب .

پورتيوس : إنى أسمى ذلك حب ذات لعين .

ليدى كيتى : ولماذا سافر يا كلايف ؟

[ينظر إليها كلايف بعض الوقت مفكراً]

كلايف : لدى خبر خطير أريد أن أقوله لك . إن

اليزابث تريد أن تترك أرنولد .

ليدى كيتى : أوه . . ولماذا تريد أن تفعل ذلك ؟

كلايف : لأنها تحب تدى لوتن ، وهذا سبب سفره

المفاجئ . إن حظ الرجال فى عائلتى عاثر

حقاً .

پورتيوس : وهل تريد اليزابث أن تهرب معه ؟

ليدى كيتى : [فى دهشة ورعب] يا إلهى . . وما العمل

الآن ؟

كلايف : فى إمكانك أن تفعل الشئ الكثير .

ليدى كيتى : أنا ؟ وماذا أفعل ؟

كلايف : قولى لها ماذا وراء هروبها . بصريها .
بعواقب هذا الأمر .
[ينظر إليها ببات . وتحمق مى فيه]

ليدى كيتى : أوه . كلا . كلا .
كلايف : إنها مجرد طفلة ، فإن لم يكن ذلك من أجل
أرنولد ، فأرجوك أن تتدخلى من أجلها هى .

ليدى كيتى : إنك لا تدري ما الذى تطلبه منى ؟
كلايف : بل إنى لأدري ذلك تماماً .

ليدى كيتى : ما العمل يا هيوى ؟
پورتوس : تصرفى كما تشائين . لن ألوامك على أى
شئ .

[يدخل الخادم وفى يده صينية عليها خطاب . يتردد
قليلاً عند ما لا يجد إليزابث فى الحجره]

كلايف : ما هذا ؟
الخادم : إنى أبحث عن مسز تشامبيون تشينى
يا سيدى .

كلايف : إن زوجتى ليست هنا . أهذا خطاب لها ؟
الخادم : أجل يا سيدى . لقد أرسل توأ من فندق
تشامبيون آرمز .

كلايف : اتركه وسأعطيه لها بنفسى .
الخادم : سمعاً وطاعة يا سيدى .

كلايف : قولى لها ماذا وراء هروبها . بصريها .
بعواقب هذا الأمر .

[ينظر إليها بشتات . وتحمق مى فيه]

ليدى كيتى : أوه . كلا . كلا .

كلايف : إنها مجرد طفلة ، فإن لم يكن ذلك من أجل

أرنولد ، فأرجوك أن تتدخلى من أجلها هى .

ليدى كيتى : إنك لا تدري ما الذى تطلبه منى ؟

كلايف : بل إنى لأدري ذلك تماماً .

ليدى كيتى : ما العمل يا هيوى ؟

پورتبوس : تصرفى كما تشائين . لن ألوامك على أى

شئ .

[يدخل الخادم وفى يده صينية عليها خطاب . يتردد

قليلاً عند ما لا يجد إليزابث فى الحجره]

كلايف : ما هذا ؟

الخادم : إنى أبحث عن مسز تشامبيون تشينى

يا سيدى .

كلايف : إن زوجتى ليست هنا . أهذا خطاب لها ؟

الخادم : أجل يا سيدى . لقد أرسل توأ من فندق

تشامبيون آرمز .

كلايف : اتركه وسأعطيه لها بنفسى .

الخادم : سمعاً وطاعة يا سيدى .

پورتیوس : هل تشامبيون آرمز هذا جانة للشراب ؟
كلایف : [مدققاً النظر في الخطاب] إنه قد يعتبر فندقاً
محلياً ، ولكنى لم أسمع مطلقاً عن أى شخص
نزل فيه .

ليدى كيتى : أعتقد أن تدى قد اضطر إلى المبيت هناك
ما دام لم يجد أى قطار يسافر فيه .

كلایف : ترى ماذا لديه من أخبار ليكتب لها عنها ؟
[يذهب إلى الباب الموصل إلى الحديقة وينادى]
إليزابث

إليزابث : نعم .
كلایف : هنا رسالة لك .

[يسود الصمت في انتظار مجيء إليزابث ، تدخل إلى
الحجرة]

إليزابث : إن الطقس جميل في الحديقة هذا المساء .
كلایف : لقد أرسلوا لك هذا توأ من فندق تشامبيون
آرمز .

إليزابث : أشكرك . [تفتح الخطاب دون أى اضطراب أو
إحراج . كانوا يراقبونها وهم تقروءه . كان يتكون
من ثلاث صفحات ثم وضعته في حقيبتها]

ليدى كيتى : هيوى ، أرجو أن تحضر لى معطفى ، فلانى
أريد التجول في الحديقة بعض الوقت

ولكنى أجد بعد قضاء ثلاثين عاماً في
إيطاليا - أن ليالى الصيف في إنجلترا شديدة
البرودة .

[يخرج هورتيوس دون أن ينطق بأى كلمة ، تظل
إليزابث غارقة في تفكير عميق]

إنى أريد التحدث إلى إليزابث يا كلايف .

كلايف : سأترككما [ثم يخرج من الحجرة]

ليدى كيتى : ماذا قال لك فى رسالته ؟

إليزابث : من ؟

ليدى كيتى : مستر لوتن .

إليزابث : [تنتفض فى مكانها . ثم تعيل النظر إلى الليدى كيتى]

هل أخبروك أيضاً ؟

ليدى كيتى : نعم . وكلهم يعتقدون الآن أننى كنت على

علم تام بالموضوع طول الوقت .

إليزابث : لن أتوقع منك أى عطف على ، فأرنولد

ابنك .

ليدى كيتى : ليس لدى إلا القليل من العطف لسوء

الحظ .

إليزابث : إننى لا أصلح لهذا النوع من الحياة فأرنولد

يريد منى أن أتخذ - ما يسميه مكانى فى

المجتمع . ولكنى أضيف بهذه الحفلات

الكبيرة في لندن ولا أكاد أطيعها ، كما أن
منظر السيدات المتبرجات بملابسهن الجميلة
ومن يتزاحمن حول صالات الرقص
ومعهن رفقاؤهن من الرجال لا يروقني ،
وكذلك أكره دعوات العشاء التي لا تنتهي
حيث يدور الحديث ، وتنتشر الإشاعات
حول العلاقات الغرامية لهذه وتلك وغيرهن
من السيدات .

ليدى كيتي : هل تحبين مستر لوتن كثيراً ؟

اليزابث : أحبه من كل قلبي .

ليدى كيتي : وهو ؟

اليزابث : إنه لم يحب في حياته أحداً سواي ، كما أنه
لن يحب أحداً غيري .

ليدى كيتي : وهل سيسمح لك أرنولد بأن تطلبي الطلاق
منه ؟

اليزابث : كلا . إنه يرفض ذلك ، كما يرفض حتى أن
بطلقني .

ليدى كيتي : لماذا ؟

اليزابث : لأنه يعتقد أن الفضيحة التي ستحدثها القضية
ستعيد إلى الأذهان ذكرى القضية القديمة

ليدى كيتي : يا لك من مسكينة !

اليزابث : ليس لي حيلة في الأمر . . . إنني على استعداد

لتقبل جميع النتائج مهما كانت خطيرة .
ليدى كيني : إنك لا تدركين شيئاً عن موقف المرأة التي

لا يربطها برجلها شيء سوى كلمة الشرف
إذا لم يتفق الزوجان ، فإن في إمكانهما أن
ينفصلا ، ولكن هذا الانفصال يستحيل
عليها إذا لم يكونا قد تزوجا . إن الصلة بين
المرأة والرجل الذي تحبه لا يمكن لغير
الموت أن يقطعها .

اليزابث : إنني من البشر ، ويمكنني أن أصمد بمفردي
دون معونة أحد إذا دعت الضرورة .

ليدى كيني : أليس لديك ثروة خاصة بك ؟

اليزابث : كلا !

ليدى كيني : إذن كيف يمكنك الاستقلال بنفسك

والوقوف على قدميك ؟ قد تظنين أني امرأة

حمقاء تافهة ، ولكنني قد تلقيت دروساً في

مدرسة الحياة القاسية . في مقدور أفراد

الاجتماع أن يصدروا من اللوائح والقوانين

ما يريدون ، وفي إمكانهم أن يعطونا نحن

النساء حق الانتخاب ، ولكنك إذا تعمقت

إلى بواطن الأمور ، وأدركت حقيقتها ، لوجدت

أن عبء نفقات الحياة وتكاليفها يقع على
كاهل الرجل ، ومن ثم فلا مندوحة من أن
تكون له اليد العليا والكلمة المسموعة .
إن المرأة لن تصبح مساوية للرجل إلا إذا
تمكنت من كسب عيشها بنفس الطريقة
التي يكسب بها الرجل عيشه .

اليزابث : [باسمة] من الغريب أن أسمعك تتحدثين
بهذه اللهجة .

ليدى كيني : إن الطاهية التي تزوج خادماً يمكنها أن
تقف معه على قدم المساواة ، لأنها تكسب
من المال القدر الذي يكسبه زوجها ، ولكن
امرأة في مركزك ، أو في مركزى يتحتم عليها
أن تعتمد اعتماداً كلياً على الرجل الذي
تعيش معه طول الوقت .

اليزابث : أنا لا أريد حياة العز والفخفة، وقد لا
تعلمين كم سئمت كل هذا الأثاث النفيس
الجميل ، وإنى لأعتبر هذه القصور الفخمة
المزينة سمجوناً ضيقة لا يمكننى التنفس فيها ،
وعند ما كنت أخرج للنزهة بملابسى
الغالية ، وفرائى الثمين فى سيارة الرولز رويس
الفاخرة ، كنت أحسد فتيات المتاجر فى

ملايسهن البسيطة الرخيصة وهن ينطلقن
في حرية وحيرية ليلحقن بسيارات الأجرة .

ليدى كيتى : أتريدين أن تقولى إنه إذا اضطررك الأمر
فستعملين لكسب عيشك بنفسك ؟

اليزابث : أجل .

ليدى كيتى : وماذا تريدين أن تكونى ؟ ممرضة ؟ كاتبة
على الآلة الكاتبة ؟ كل هذا لغو وكلام
فارغ لا معنى له . إن حياة الرفاهية والتنعم
لتقوض أعصاب المرأة ، وتسرى فى
دمائها ، وإذا ألفتها يوماً أصبحت بالنسبة
إليها من ضروريات الحياة .

اليزابث : إن ذلك يتوقف على المرأة نفسها .

ليدى كيتى : كل سيدة فى شرخ الشباب ومقتبل العمر
تعتقد أنها تختلف عن غيرها من النساء ،
حتى إذا كبرت ونضج تفكيرها ، أدركت
أن كل السيدات سواء .

اليزابث : إنه لجحيل منك أن تتحملى كل هذا العناء
من أجل .

ليدى كيتى : إني ليحزننى ويحطم قابى أن أراك مقبلة على
ارتكاب الغلطة نفسها المفجعة التى ارتكبتها

اليزابث : أوه ! لا تقولى إنها كانت غلطة . بربك
لا تقولى ذلك .

ليدى كيتى : انظرى إلىّ يا إيزابث ، ثم انظرى إلى هيوى !
أتظنين أن هروبنا معاً كان عملاً صائباً ؟
وهل تعتقدين أنه لو أمكننا العودة إلى ماضى
شبابنا أكنت أقدم ثانية على ذلك ؟ أكان
هو يرضى بتكرارها ؟

اليزابث : قد لا تعلمين مقدار حبي لتدى .
ليدى كيتى : وهل لم أكن أحب هيوى ؟ ألم يكن هيوى
يحبني ؟

اليزابث : إني متأكدة من حبه لك .
ليدى كيتى : طبعاً لقد كان حبنا فى البداية نفحة من
النعم ، كنا نشعر بالشجاعة والقدرة على
المخاطرة . كان حبنا طاغياً جارفاً متبادلاً .
دام هذا الهناء عامين . قاطعنى الناس ،
كما تعلمين فلم أهتم ، لأننى كنت أومن أن
الحب هو كل شيء فى الوجود . . . أؤكد
لك أنه لم يكن من السهل على إطلاقاً ، عند ما
أقابل مصادفة إحدى الصديقات العزيزات
فأسرع إليهما بشوق وحماس ، فرحة برويتهما

وكل ما ألقاه منها نظرة باردة كالثلج ،
الزباث : مثل هذه السيدة لا تستحق أن تكون صديقة
لك !

ليدى كيتى : لعلها لم تكن متأكدة من نفسها ، فلم تدر
كيف تتصرف ، أو لعلها بوغتت فعلا
لظهورى فجأة أمامها ، ولكنى لا أكتملك
الحق ، إنه اختبار قاس ، من الخير لك
ولصديقاتك ألا تعرضن أنفسكن له إذا كان
ذلك فى الإمكان فإنه ليس آلم للنفس ولا
أقسى على الفؤاد من أن يكتشف الإنسان
أن أصدقاءه الحقيقيين قلة نادرة .

الزباث : ولكن الإنسان يجد القليل من الأصدقاء
على كل حال .

ليدى كيتى : أجل . وهؤلاء الأصدقاء لن يدعوك إلى
بيوتهم إلا متى ضمنوا أنك لن تقابلى
عندهم أحداً قد يسوؤه رؤيتك وإلا كتبوا
إليك يقولون إنهم فى منتهى الوفاء والإخلاص
لك ، ولكن ابنهم قد كبرت — ولا يصح
أن تذكر قصتك أمامها — وأنت لا بد
مقدرة موقفهم إذا لم يتمكنوا من دعوتك
لزيارة منزلهم ! !

اليزابث : [باسمة] لا يبدو لي أن هذا الأمر جدد خطير !
ليدى كيتي : كنت أرحب بهذه المقاطعة في البداية ،

لأنها كانت تتركني وحدي لهوى ، وترك
هوى لي ، وكنا نقضى الوقت معاً دون شريك
أو حبيب ، ولكنك تعلمين أن الرجال
غريبو الأطوار ، وأنهم بالرغم من حبهم لك
لن يقضوا اليوم بطوله ولا شغل لهم غير
الحب ، فهم في حاجة إلى الراحة والتغيير
ومن يلومهم على هذا ؟

اليزابث : لقد استقر بنا العيش في «فلورنسا» . ولما لم
ليدى كيتي :

نستطع الدخول في المجتمع المذهب الراقى
الذى تعودناه ، اضطررنا إلى التعود على
مخالطة المجتمع الذى قبلنا . مجتمع متكون
من نساء متحللات متهتكات ورجال سفلة
أوغاد . ومن حفنة من رعاى القوم ، وأحط
الطبقات ممن يعبدون الألقاب ، ويسرون
كالكلاب وراء أصحابها ليستظلوا بحمايتهم
ويستفيدوا من نفوذهم . ومن أمراء
إيطاليين مفلسين يسعدهم بين الحين والآخر
أن يقترضوا نقوداً من هوى ، وبضع
أميرات منحرفات كل همهن أن يظهرن

معى فى المسرح أو فى الحفلات . ثم بدأ
هوى يحن إلى حياته السابقة . كان يريد
أن يسافر للصيد فى الأدغال ، ولكنى لم أدعه
يذهب ، إذ كنت أخشى أنه إذا ذهب فلن
يعود .

اليزابث : ولكنك كنت تعلمين أنه يحبك !
ليدى كيتى : أوه يا عزيزتى . إنك لا تدركين أهمية
الزواج لنا نحن النساء ، يا له من حصن
أمين نلجأ إليه نحن السيدات ! وإن الجاهلات
الغيبات منا هن اللاتي يحاولن العبث برباط
الزوجية المقدس . إن الكنيسة كانت ولا
تزال بعيدة النظر وفى منتهى الحكمة لإصرارها
على موقفها من الزواج ، وإنه رباط لا ينحل
ولا ين . . .

اليزابث : ولا ينقسم .
ليدى كيتى : صدقيني يا اليزابث ، إنه ليس بالأمر
السهل أن تعتمدى على نفسك فقط للاحتفاظ
بالرجل الذى تحبينه ، إننى شخصياً لا أستطيع
المجازفة بأن أبدو متقدمة فى السن ، وها أنا
أبوح لك بسر لا يعرفه أحد غيرك من
الناس أجمعين .

اليزابث : وما هو هذا السر ؟
ليدى كيتى : أترين لون شعرى ؟ ليس هذا لونه
الطبيعى ؟

اليزابث : أصبح هذا ؟
ليدى كيتى : إننى أصبغه . إنك قطعاً لم تلاحظى ذلك ؟
اليزابث : لم ألاحظ ذلك قط .
ليدى كيتى : ولم يلاحظه أحد . لقد شاب قبل الأوان
بالطبع ، ولكنه أبيض يا عزيزتى . إننى
لأعتبر ما حدث لشعرى رمزاً لما طرأ على
حياتى . . أتهتمين بالرمزية يا عزيزتى ؟ .
إنها مدهشة جداً .

اليزابث : لا أعرف أى شىء عن الرمزية .
ليدى كيتى : لقد كان من واجبى أن أبدو مرحلة نشطة
مهما استبدت بى التعب . لم أعط الفرصة
لهيوى حتى يرى حزنى الدفين ، وقلبى
الجريح الدامى ، فقد كنت أخفى ذلك عنه
باستمرار وراء عيني الباسمتين ، وخلف
نظراتى المشرقة .

اليزابث : [باستغراب وتأثر] يا لك من غريرة مسكينة !
ليدى كيتى : وعند ما كنت أرى أن غبرى من النساء
قد استلقت نظره ، واستولى على قلبه ،

فيا للخوف الذى كان يعتربنى ، والغيرة التى
تنهش فؤادى ! ولم أكن أجروء بالرغم من
ذلك على أن أثور فى وجهه كما تفعل كل
زوجة لآنى لم أكن متزوجة ، وكنت
أضطر مرغمة مكرهة على التظاهر بأنى لم
ألاحظ شيئاً .

اليزابث : [مندمشة] أتريدين أن تقولى إن هيوى وقع

فى حب غيرك من النساء ؟

ليدى كيتى : طبعاً لقد أحب أكثر من مرة !

اليزابث : [لا تكاد تعرف ما تقول] لقد كنت بائسة

تعسة حقاً .

ليدى كيتى : أجل . لقد كنت فى منتهى التعاسة . وكم

قضيت الليلة تلو الليلة ، وقد اختلطت عبرات

عينى بدموع قلبي عند ما كان يخبرنى

هيوى أنه سيذهب إلى النادى ليلعب

الورق ، لآنى كنت أعلم أنه سيذهب ليمضى

وقته مع امرأة ساقطة . لم يكن شقائى هذا

لقلة وجود غيره من الرجال الذين يتلهفون

على أن يؤنسوا وحشتى ، ويعملوا على

تسليقى ، فقد كنت دائماً موضع إعجابهم

ومحط أنظارهم كما تعلمين .

اليزابث : أدرك ذلك تماماً .

ليدى كيتى : ولكن كان على أن أحترم نفسى ، ومهما

ارتكب هوى فى حتى من خيانات فلم
أكن أسمح لنفسى بارتكاب أى عمل قد
أندم عليه فى المستقبل .

اليزابث : لعلك سعيدة الآن لاتخاذك مثل هذا المسلك
الحكيم .

ليدى كيتى : إنى سعيدة فعلاً . وعلى الرغم مما تعرضت
له من تجارب فلا زلت مخلصه إخلاصاً تاماً
بالفكر والروح لهوى .

اليزابث : إنى لا أدرك تماماً معنى ما تقولين !

ليدى كيتى : حسناً . لقد حدث مرة أن شاباً إيطالياً

مسكيناً ، هو الكونت كاستل جيوفانى ،
أحبني إلى درجة الجنون ، وقد تولاه اليأس
واستبد به الهوى ، حتى إن أمه توسلت
إلى ألا أقسو عليه . لقد كانت تخاف عليه
من الضنى والنحول والموت . . كيف
أتصرف فى مثل هذه الظروف ؟ ومرة
أخرى ، وبعد سنين عديدة ، جاءنى شاب
آخر هو أنطونيو مليتا ، وأقسم لى إنه
سيضرب نفسه بالرصاص إذا لم أقبل أن

..... وأظنك توافقيني على أنه لم يكن
ممكناً أن أترك الشاب المسكين يطلق الرصاص
على نفسه .

اليزابث : أتظنين أنه كان سيطلق على نفسه الرصاص
فعلاً ؟

ليدى كيتي : أوه . لا يمكن لأحد أن يتأكد مما كان قد
يحدث . وإن هؤلاء الإيطاليين سريعو
الانفعال مشبوبو العاطفة . لقد كان حملاً
وديعاً كما كانت عيانه في منتهى السحر
والجمال .

[تطيل إليزابث النظر إليها ، ثم يتملكها الخوف
من هذه العجوز الدنسة المتصعبة]

اليزابث : [في صوت مبحوح] إن ذلك مرعب مخيف !

ليدى كيتي : هل أدهشك ذلك ؟ إن الإنسان ليضحى
بحياته من أجل الحب ، ثم يكتشف بعد ذلك
أن الحب لا يدوم . إن مأساة الحب ليست
في الموت أو في الانفصال ، ففي إمكان
الإنسان أن يتغلب عليهما ، وإنما مأساته
الحقيقية في انعدام الاهتمام وقلة الاكتراث
[يدخل أرنولد]

أرنولد : هل يمكنني أن أحدث إليك قليلاً يا اليزابث ؟

اليزابث : طبعاً .
أرنولد : أتفضلين أن نخرج معاً للتنزه في
الحديقة ؟

اليزابث : كما تحب .
ليدى كيتي : كلا ! ابقيا هنا . فأنا خارجة على كل حال
[تخرج ليدى كيتي]

أرنولد : أرجو أن تستمعي إلى بعض الوقت يا اليزابث
لقد صدمت بما قلتيه لي الآن صدمة أفقدتني
صوابي . لقد كنت سخيلاً معك ، فأرجوك
الصفح ، لقد قلت لك كلاماً أنا نادم عليه .
اليزابث : لا تلم نفسك . إنني لأشعر بالأسف لأنني
أنا التي هيأت لك الدافع لقوله .

أرنولد : أريد أن أسألك هل عقدت العزم نهائياً على
الذهاب معه ؟

اليزابث : أجل .
أرنولد : يخيل إلي أنني حتى الآن قد قلت لك كل
ما لم أكن أريد أن أقوله ، بينما لم أخبرك بشيء
مما أريد . إنني عتيّ معقود اللسان كما
تعرفين ؛ ولعل هذا هو السبب الذي من
أجابه لم أعبر لك عن عميق حبي لك ، وشديد
غرامي بك .

اليزابث : أواه يا أرنولد !

أرنولد : دعيني أتكلم الآن ، ولا تقاطعيني فإن الموقف

صعب جداً على . وإذا كنت قد أوليت

السياسة وتنسيق البيت كل وقتي وتفكيرى

حتى صرفنى ذلك عن الاهتمام بك ، فإنى

أسف جداً . لقد كان جهلاً منى أن أفكر

بأنك ستعتبرين حبي العظيم لك قضية مسلماً

بها .

اليزابث : ولكنى يا أرنولد ، لا ألومك على ذلك .

أرنولد : إنى ألوم نفسى فقد كنت سيئ التصرف

مهملاً ، وكل ما أطلبه منك أن تتأكدى من

أن ذلك لم يكن مبعثه قلة حبي لك ، أو

فتور غرامى بك ، ولهذا هل لى أن أسألك

الصفح والمغفرة إذا كان ذلك ممكناً ؟

اليزابث : لا أظن أن هناك ما يتطلب منى الصصح أو

الغفران .

أرنولد : لم أكن أدرك عظم حبي لك وشدة هيامى

بك إلا اليوم ، عند ما تحدثت إلى "مخصوص

رغبتك فى الرحيل عنى .

اليزابث : بعد ثلاث سنين يا أرنولد ؟

أرنولد : كم أنا فخور بك يا اليزابث وشديد الإعجاب بشخصك ، وعند ما أراك في حفلة من الحفلات جميلة نضرة فتنة للناس ومهجة للناظرين ، يأخذنى الزهو ، ويستخفىنى الفرح ، لأنك لى ، ولى أنا فقط دون الناس أجمعين .

اليزابث : إنك تبالغ كثيراً يا أرنولد .
أرنولد : لا يمكننى تصور هذا البيت بدونك . ستبدو الحياة بعدك تافهة فارغة لا معنى لها ولا طعم ، أواه يا اليزابث ألا تحسین نحوى بأى حب ؟

اليزابث : من الأفضل أن أكون أمينة معك . للأسف لا .

أرنولد : وحبى الشديد لك ، أليست له أية قيمة عندك ؟

اليزابث : إنى لأشكر لك جداً هذا الفضل ، وأعتذر عما أسببه لك من ألم ، ولكن ما فائدة بقاى معك إذا كنت سأظل طول الوقت شقية تعسة ؟

أرنولد : هل تحبين هذا الرجل إلى ذلك الحد ؟

وتعاسنى وشقائى ! ألا يعنيك من أمرى
شيئاً ؟

اليزابث : إن أمرك يهمنى جداً . ويحزننى جداً أن
أراك تعساً ، ولكننى لم أكن أعلم أنك تهتم
بى إلى هذه الدرجة . لى آسفة لذلك كل
الأسف يا أرنولد ، وفى شدة التأثير من
أجلك ، ولكنى عاجزة عن أن أمنع
نفسى ، وما قدر يكون .

أرنولد : يا للطفلة المسكينة إنها لقسوة منى أن
أعذبك معنى .

اليزابث : صدقتى يا أرنولد ، لقد حاولت جهدى
وبذلت غاية ما فى وسعى لكى أشعر بالحب
نحوك فلم أستطع . المسألة هى إما أن يحب
الإنسان أولاً يحب ، ولن تجديه محاولة الحب
نفعاً ، ولقد وصلت الآن إلى نهاية المطاف ،
ولم يعد فى قوس صبرى منزع . سأفعل
ما يحسن إليه كل كيانى وسأتحمل وحدى
نتائج ذلك كائنة ما تكون .

أرنولد : يا طفلى المسكينة أخاف عليك ألا تسعدى ،
ولكم أخشى أن تندم على ما تفعلين !

اليزابث : أرجوك أن تتركنى لمصيرى ، وأن تحاول
أن تنسأنى ، وأن تنسى التعاسة التى سببتها
لك .

أرنولد : [تسود فترة من السكوت . يروح أرنولد ويفدو فى
الحجرة ساهما مفكرا . يفيق ويواجهها] ما دمت
تحبين هذا الرجل وترغبين فى الذهاب معه
فلن أحاول منعك من ذلك ، وإن أمنيته
الوحيدة هى أن تعملى ما فيه مصلحتك .

اليزابث : هذا جميل منك جداً يا أرنولد وإذا كنت
لم أحسن معاملتك فأنى أريد منك على الأقل
أن تتأكد من أنى شاكرة لك كل هذا
العطف علىّ ، وذلك الاهتمام بى .

أرنولد : بقيت خدمة واحدة أخرى أتوسل إليك أن
تؤديها لى . فهل تسمحين ؟

اليزابث : بكل تأكيد يا أرنولد . إنى على استعداد
لعمل كل ما أقدر عليه .

أرنولد : ليس تدى بالرجل الفنى ، ولقد تعودت أنت
حياة الترف والنعيم ، ولن أرضى لك أن
تحرى نفسك من شىء مما كنت تتمتعين به .
إن مجرد التفكير فى أنك ستقاسين من

المتاعب أو الحرمان يقتلني قتلا .

اليزابث : ولكن تدى سيكسب من المال ما يسد
احتياجاتنا ، ومع كل فلن نحتاج إلى مال
كثير .

أرنولد : لم تكن حياة أمي مع پورتوس سهلة أو هينة
وأعتقد أن كل الذى جعلها محتملة هو أن
پورتوس رجل غنى . لهذا أرجوك أن
نسمحي لى بأن أفتح لك باسمك فى البنك
حساباً قدره ألفان من الجنيهات سنوياً .

اليزابث : كلا ! كلا ! لا يمكن التفكير فى ذلك .
إن هذا محال .

أرنولد : أرجوك أن تقبلى منى هذا المبلغ البسيط .
أنت لا تدركين ما لهذا الأمر من أهمية .

اليزابث : أشكر لك هذا العطف من كل قلبي
يا أرنولد . إن مجرد التحدث عن ذلك يذل
كبريائى ويسحق عزة نفسى . لا شئ فى
الوجود يمكن أن يقنعنى بقبول بنس
واحد منك .

أرنولد : على أية حال ليس فى إمكانك أن تمنعيني من
أن أفتح فى البنك حساباً باسمك . ستكون

النقود جاهزة للدفع تحت إذنتك ، وطلبك
كل ثلاثة شهور ، وسواء طلبتها أو لم
تطلبها فستظل مودعة باسمك حين حاجتك إليها
إنتك تغمرنى بفضلك يا أرنولد ، ولكنى
لا أطلب منك إلا خدمة واحدة وحيدة أرجو
أن تقوم بها من أجلي . سأكون شاكرة لك
جميلك لو تفضلت فطلبت الطلاق منى فى
أول فرصة ممكنة .

اليزابث

أرنولد : كلا ! لن أفعل ذلك . ولكنى سأهين لك
أنت الفرصة لكى تطلبى طلاقى .

اليزابث

أرنولد : أنت !
أجل ، ولكن عليك أن تكونى حريصة جداً
لفترة ما . إني سأنفذهذه الخطة بكل سرعة
ممكنة ولكنى أخشى ، رغم ذلك ، ألا تتمكنى
من الحصول على الطلاق واسترداد حريتك
قبل مرور ستة شهور .

اليزابث

أرنولد : ولكن مقعدك فى مجلس العموم يا أرنولد !
ومستقبلك السياسى ؟

أرنولد

أوه لا يهمنى هذا . لقد استقال والدى من
مجلس العموم فى ظروف مشابهة وها هو

يحيا حياة هائلة جداً بعيداً عن السياسة .

اليزابث : ولكن السياسة بالنسبة لك هي الحياة كلها .

أرنولد : ومع كل فلان يقدر الإنسان على تحقيق كل
أمانيه . ومن أراد أن يقوم بعمل نبيل فعليه
أن يعد نفسه للتضحية في سبيله .

اليزابث : ولكنى لا أريد منك أن تقاسى من أجل ذلك !

أرنولد : لقد ترددت أول الأمر في مواجهة الفضيحة

ولكن هذا كان ضعفاً منى . . ولو أنى كنت

أحب فى مثل هذه الظروف أن أتجنب

الدخول فى محكمة الطلاق إن أمكن ذلك .

اليزابث : إنك تجعلى فى منتهى التعاسة والشقاء

يا أرنولد !

أرنولد : إن ما قلتيه لى قبل العشاء كان هو الصواب

فليس الأمر بذى أهمية للرجل ؛ ولكنه كل

شئ فى حياة المرأة ، ومن الطبيعى أن يكون

واجبى هو التفكير فىك أولاً .

اليزابث : هذا سخف . هذا محال . فإذا كان هناك

بد من التضحية فلاأكن أنا التى أضحى ،

وأنا التى أدفع الثمن ولست أنت !

أرنولد : إنى لا أطلب منك شيئاً كثيراً يا اليزابث !

اليزابث : أنا التي تطلب منك كل شيء ، وتريد
حرمانك من كل ما عندك .

أرنولد : إن ما أطلبه هو الشرط الوحيد الذي
أشترطه ، لأنني مصمم عليه كل التصميم . لن
أطلقك أبداً ، وإنما سأمكنك من أن تطلقيني .

اليزابث : أواه يا أرنولد . من القسوة أن تكون بهذا
الكرم معي .

أرنولد : ليس هذا كرمًا . إنها الوسيلة الوحيدة التي
يمكنني بها أن أظهر لك مبلغ ما أحسه
نحوك من حب عميق ، وإخلاص شديد ،
وعاطفة صادقة . [يسود الصمت ، يمد يده إليها]
طابت ليلتك . إن لدى عملا كثيراً يجب أن
أنجزه قبل أن أنام .

اليزابث : طابت ليلتك .

أرنولد : أليديك مانع من أن أقبلك يا اليزابث ؟

اليزابث : [متأللة] أوه يا أرنولد !

[يقبلها في رزاة فوق جبينها ثم ينصرف . تقف
اليزابث ساهمة شاردة الفكر . تبدو تعباً محطمة .
تدخل ليدي كيتي وپورتويس . ليدي كيتي ترتدى معطفاً]

ليدي كيتي : هل أنت بمفردك يا اليزابث ؟

اليزابث : تلك الرسالة التي سألتني عنها . يا ليدي .

كيتي ، التي أرسلها إلى تدي

ليدي كيتي : نعم ؟

اليزابث : إنه يريد أن يتحدث معي قليلا قبل أن يرحل

من هنا . إنه ينتظرنى عند المشتل بالقرب

من ملعب التنس ، هل يتفضل اللورد

پورتيوس بالذهاب إليه ليطلب منه الحضور

إلى هنا ؟

پورتيوس : بكل تأكيد . بكل تأكيد .

اليزابث : لا تؤاخذنى لإزعاجك . إن الأمر هام

خطير .

پورتيوس : لا إزعاج بالمرّة .

ليدي كيتي : سنتركهما معاً ، ونصرف هوى وأنا .

اليزابث : ولكنى لا أريد أن أكون وحدى معه .

أرجوك البقاء هنا .

ليدي كيتي : وماذا تزمعين أن تقولى له ؟

اليزابث : [يائسة] بربك لا توجهى إلى أية أسئلة ، إنى

فى غاية التعاسة .

ليدي كيتي : يا لك من مسكينة يا ابنتى !

اليزابث : أليست هذه الحياة فاسدة حقيرة ؟ لم لا

يستطيع الإنسان فيها أن يسعد دون أن

نسبب سعادته الشقاء والتعاسة للآخرين ؟

ليدى كينى : كم أتمنى لو أعلم كيف أمد لك يد المساعدة
إلى فى منتهى الإخلاص لك [تبحث فى عقلها
عن شيء تقوله أو تفعله] أتحبين أن تستعملى
صابع الشفاء الخاص بى ؟

اليزابث : [باسمة من خلال دموعها] أشكرك . إلى لم
أستعمله أبداً فى حياتى .

ليدى كينى : حاولى الآن . إنه يساعد على تهدئة أعصابك
عند ما تكونين فى محنة .
[يدخل پورتيوس وتدى]

پورتيوس : لقد أحضرته معى بعد أن كان يقسم أنه
لن يحضر .

ليدى كينى : حتى بعد أن علم أن سيدة هى التى تطلبه
للحضور ؟ أهذه هى تصرفات الشباب فى
هذه الأيام ؟

تدى : عند ما يطرد الإنسان بكل تحقير من بيت
ما مرة فمن التطفل والوقاحة أن يقبل
الرجوع إليه ثانية وكأن شيئاً لم يحدث .

اليزابث : تدى . أريد منك أن تكون جاداً فى حديثك
فليس هذا وقت المزاح والهزل .

تدى : يا عزيزتى ، لقد تناولت عشاء فاسداً قدراً فى
ذلك الفندق الملعون ، وإذا كنت تطلبين
منى أن أكون جاداً رغم ذلك فساأضطر
للصراخ والعيويل .

اليزابث : لا تكن أحمق يا تدى [تهتز نبرات صوتها]
كم أنا شقية تعسة !
[ينظر إليها واجماً]

تدى : ما الذى حدث ؟

اليزابث : لن أستطيع السفر معك يا تدى !

تدى : ولم لا ؟

اليزابث : [فى ارتباك] لأنى لا أحبك الحب الكافى .

تدى : أنت تخرفين .

اليزابث : [غاضبة] لا تقل ذلك لى .

تدى : سأقول لك كل ما أحب وأريد .

اليزابث : أنا لا أقبل منك أى تهديد أو إرغام .

تدى : اصغى لى يا اليزابث ، إنك تدريكين تماماً

لأنى أحبك كما أنى واثق من حبك لى ، ولا

أدرى لماذا تتحدثين بكل هذا الكلام الفارغ

الذى لا معنى له ؟

اليزابث : [فى صوت متهدج] لن أستطيع الإجابة مادمت

غاضباً منى .

تدى : [مبتسماً في حنان] لست غاضباً منك أيتها
الحقماء .

اليزابث : سيصبح الكلام أكثر صعوبة على ما دمت
تنعق في وجهي هكذا مثل البومة .

تدى : [مفهقها] هل أنا مخطئ في تفكيري . إنه
ليس من السهل على أن أرضيك ؟

اليزابث : ولكن هذا مخيف . كنت قد حزمت أمري
وكننت على استعداد لمواجهة الموقف ؛
ولكنك بتصرفك هذا قد أفسدت على خطتي
إنني أشعر كالمنطاد الكبير المنتفخ . وقد
وخزه أحد الناس فجأة بدبوس طويل .
[ثم تحدجه بنظرة مفاجئة] هل فعلت ذلك عامداً ؟

تدى : أقسم لك بحياتي أنني لا أفهم عم تتحدثين ؟

اليزابث : يخيل لي أنك أكثر ذكاء مما كنت أظن .

تدى : [ممسكا بيديها مساعداً لها على الجلوس] والآن

خبريني بالضبط ماذا تريد أن تقول ؟
وبالمناسبة أتخمين أن تظل هنا الليدي كيتي
واللورد پورتيوس ؟

اليزابث : أجل .

ليدي كيتي : لقد طلبت منا إليزابث أن نبقى .

تدى : لا اعتراض لى على ذلك إطلاقاً وليبارككما
الله، وإنما خشيت أن ينتابكما الشعور بأن
وجودكما غير مرغوب فيه .

ليدى كيتى : [برود] إن السيدة المهدبة لا تنتظر حتى
ينتابها مثل هذا الشعور يا مستر لوتن .

تدى : لم لا تدعوننى تدى ؟ الجميع ينادوننى بهذا
الاسم .

[تحاول ليدى كيتى أن تنظر إليه شذراً ولكنها لا
تملك منع نفسها عن الابتسام . يربت تدى على يدي
إليزابث فتسحبها بعيداً عنه]

إليزابث : كلا . لا تفعل ذلك . إني لم أكن صديقة
عند ما قلت لك إني لا أحبك . بالطبع
أحبك ؛ ولكن أرنولد يحبني أيضاً . ولم
أكن أعلم أنه يحبني بهذا القدر العظيم .
تدى : ما الذى قاله لك ؟

إليزابث : لقد كان كريماً معي شديد العطف على . لم
أكن أدرك أنه طيب عطوف بهذه الدرجة .
لقد تفضل مشكوراً بالسماح لى بطلب
الطلاق منه .

تدى : إن ذلك منه منتهى اللطف وحسن الخلق .
إليزابث : أأست ترى أن هذا الأدب منه يغل يدي ؟

كيف يتسنى لى قبول مثل هذه التضحية
منه ؟ لن أغفر لنفسى أبداً، إذا أنا قبلت
الاستفادة من نبيله واستغلال كرم أخلاقه .

تدى : إذا كنت أنا ورجل آخر وقد استبد بنا

الجوع وليس أمامنا إلا قطعة واحدة من
اللحم وقال لى : كلها فلن أضيع وقى فى
الجدال بل سألتهمها قبل أن يغير رأيه .

اليزابث : لا تتكلم بهذه اللهجة، لأن ذلك يكاد يذهب
بعقلى لى أحاول أن أتصرف التصرف
اللائق ، وأن أسلك الطريق الصحيح .

تدى : إنك لا تحبين أنزولد ، ولكنك تحبينى أنا ،
ومن الحماقة أن تضحى بحياتك من أجل
عطف سخييف .

اليزابث : لقد تزوجته على أية حال .

تدى : حسناً لقد أخطأت . إن زواجاً بغير حب
ليس بزواج على الإطلاق .

اليزابث : لئننى أنا التى أخطأت فلماذا يقاسى هو
نتيجة لخطئى ؟ إذا كان من الضرورى أن
يقاسى شخص من جراء هذه الغلطة فن
العدل أن أكون أنا ذلك الشخص .

تدى : أى نوع من الحياة تنتظرين أن تعيشها معه ؟ إذا تزوج شخصان فمن الصعوبة بمكان على الواحد منهما ألا يكون سعيداً فى زواجه دون أن يسبب الشقاء والتعاسة للطرف الآخر .

اليزابث : لن أقبل أن أستغل كرمه .

تدى : يمكننى القول إنه شخصياً سيستفيد كثيراً من هذا الكرم .

اليزابث : إنك فظ شرس يا تدى . لقد كان فى منتهى الروعة . لم أكن أعرف أنه يتحلى بكل هذه الفضائل . لقد كان نبيلاً حقاً .

تدى : إنك تهرفين بما لا تعرفين يا اليزابث .

اليزابث : إني لأعجب هل فى مقدورك أنت ؛ أن تتصرف مثله ؟

تدى : أى تصرف تقصدين ؟

اليزابث : ماذا تفعل لو كنت أنا متزوجة منك وجئت لك ذات يوم لأقول لك إني أحب شخصاً سواك وأريد أن أتركك ؟

تدى : إن لك عينين زرقاوين جميلتين جداً يا اليزابث . سأبدأ بتسديد لكمة إلى عين

منهما وطبيعى ستسود ، ثم أسود لك الثانية
بنفس الطريقة ، وبعد ذلك أفكر فيما يجب
عمله .

اليزابث : أيها الوحش اللعين !
تدى : كثيراً ما فكرت فى أننى لست بالرجل
المهذب . ألم تستنتجى ذلك بنفسك ؟
[ينظر الواحد منهما للآخر لفترة من الوقت]

اليزابث : ها أنت ترى يا تدى أنك تستغل موقفى
استغلالاً ظالماً غير مشروع . إننى أشعروكأننى
جئت إليك آمنة مطمئنة لا أتوجس شراً
حتى إذا ما أدرت وجهى ضربتنى فى قصة
رجلى .

تدى : ألا تعتقدين أننا سنوفق فى حياتنا معاً ؟
پورتىوس : ستكونين حمقاء يا اليزابث ، إن لم تتمسكى
بزوجك . إن ما أنتما مقدمان عليه أمر مشين
بالنسبة للرجل ، ولكنه بالنسبة للمرأة أمر
فيه القضاء عليها . إننى لا أدافع عن أرنولد
فهو لا يجيد لعب البريدج ، ورغم وجودك
يا كيتى ، فإنى أقول إنه متعجرف و . . .
ليدى كيتى : يا له من مسكين ! لقد كان والده كذلك

وهو في مثل سنه ولكنه سيشفى من هذا
النقص في الوقت المناسب .

پورتیوس : ابقى بجانب أرنولد يا اليزابث وتمسكى به .
فالإنسان حيوان اجتماعي ، وكلنا أفراد في
قطيع . ولسوف نتعب ونشقى إذا خرجنا
على نظام القطيع وكسرنا قوانينه . سنعانى
من ذلك بقسوة مريرة .

ليدى كيتي : اليزابث ! يا ابنتي العزيزة لا تذهبي ، الأمر
لا يستوجب هذه التضحية الكبيرة . لا
يستوجبها إطلاقاً . . . إني أقول لك ذلك
عن خبرة وتجربة فقد ضحيت بكل شيء
من أجل الحب .
[فترة صمت]

اليزابث : إني خائفة !
تدى : [هاساً] اليزابث !
اليزابث : لا أقدر على مواجهة الموقف . إن ذلك
فوق طاقتي . دعنا نودع أحدهما الآخر
يا تدى . إن هذا هو الشيء الوحيد الذى
يجب علينا عمله . كن رحيماً فى حكمك على
لقد فقدت كل أمل فى السعادة .
[يذهب تدى إليها ثم يطيل النظر فى عينيها]

: ولكنى لم أعدك بأى سعادة معى . لأنى لا
أظن أن حباً من نوع حبنى سيحقق لك أى
قسط من السعادة . إنى شديد الغيرة وليس
من السهل لإرضائى . كثيراً ما أفقد أعصابى
وأحتد وأثور . سوف أتضايق منك يوماً ما
وكذلك ستتضايقن منى ، سنتخانق
ونتضارب مثل الكلب والقط ، وسيكره أحدنا
الآخر بعض الأحيان ، وكثيراً ما ستشعرين
بالتعاسة والضجر والوحدة ، وسيعذبك الحنين
المضنى إلى الوطن وعند ذلك ستندمين على
ما فعلت وستشعرين بعظم ما فقدت ،
سيعاملك بعض النسوة هناك بخشونة وفضافة
لأنك هربت معى ، وستقاطعك أخريات ،
إنى لا أقدم لك الهدوء والسلام ، بل التعب
والضنى والقلق . إنى لا أعدك بالسعادة
ولكنى أعدك بشىء واحد وهو الحب .

: [مادة نحوه ذراعها] أيها المخلوق الكريه إنى
أعبدك .

[يأخذها بين ذراعيه ويقبل شفيتها بكل عاطفته]

: بالطبع منذ اللحظة التى قال لها فيها سأضربك

على عينك حتى يسود لونها أدركت أنه ظفر

بها .

پورتيوس : [مداعباً] يا لك من غيبة حمقاء يا كيتي .

ليدي كيتي : أعلم ذلك ، ولكن لا حيلة لي في هذا الأمر .

تدي : فلنهرب الآن معاً .

اليزابث : أحقيقة هذا ؟

تدي : أجل . وفي التو واللحظة !

پورتيوس : يا لكما من أحمقين ! كلاكما أحمق معتوه .

لكما أن تستخدمما سيارتي إن أردتما .

تدي : هذا فضل منك يا سيدى . لقد أخرجتها في

الواقع من « الجاراج » منذ لحظة ، ووضعها في

أول الطريق .

پورتيوس : [بغضب وقد لحقته الإهانة] ماذا تعنى بقولك

أخرجت العربى من « الجاراج » .

تدي : حسناً لقد كنت أتوقع يا سيدى ، الكثير من

المتاعب ، ورأيت أن أفضل ما يمكن عمله هو

أن أجنب اليزابث ما قد تواجهه من إحراج

وارتباك ، وذلك بأخذها بعيداً عن هنا بأى

وسيلة ممكنة ، ولعلك تعلم أن أحسن شعار

لرجل الأعمال هو : « افعل ذلك الآن » .

پورتيوس : أترید أن تقول إنه كان في نيتك سرقة
سيارتي ؟

تدي : ليس ذلك تماماً ، وإنما كنت أنوي « بلشفها »
كما يقولون !

پورتيوس : إنني أرفع من أن أرد عليك . سأصمت
تماماً ولن أفتح فمي .

تدي : يا للجنة — هل كنت أستطيع حمل الزابث
طول الطريق إلى لندن ! إنها ممتلئة البدن
كما ترى .

الزابث : أيها الكلب .

پورتيوس : [بنضب] ولكن . ولكن . ولكن أسقط في
يدي ، إني أحبه يا كيتي . لا فائدة من
التظاهر بأنني لا أحبه . أجل إني أحبه .

تدي : إن الليلة مقمرة يا الزابث ، وسنسافر بالسيارة
طوال الليل .

پورتيوس : أفضل لكما أن تذهبا إلى سان ميشيل .
سأبرق إليهم ليعدوا لكما كل شيء .

ليدي كيتي : إنه نفس المكان الذي ذهبنا إليه هيوى وأنا
عند ما [يتكسر صوتها] أيها الصغار
الأعزاء كم أحسدكما .

پورتيوس : [ماسحاً عينيه] لا تبكي يا كيتي ! لعنة الله

- عليك ؟ بربك لا تبكى !
- تدى : هيا بنا يا حبيبتي .
- اليزابث : لا أستطيع السفر هكذا .
- تدى : ما هذا العبث ! إن الليدى كيتى ستعطيك معطفها . أليس كذلك ؟
- ليدى كيتى : [خالعة عنها معطفها] لا أستبعد عليك أن تنزعه بالقوة عنى إن لم أعيرها إياه .
- تدى : [يساعد إيزابث على إرتداء المعطف] وسأشتري لك فرشاة أسنان من لندن فى الصباح .
- ليدى كيتى : يجب أن تكتب رسالة لأرنولد . سأضعها بنفسى على وسادة الدبابيس .
- تدى : إلى الجحيم بوسادة الدبابيس ! هلم بنا يا حبيبتي سنسوق العربى خلال الليل والفجر وشروق الشمس .
- اليزابث : [تقبل ليدى كيتى ولورد پورتوس] وداعاً . وداعاً [يمد تدى يده وتمسك بها . ويخرجان معاً ويد كل منهما فى يد الآخر حتى يختفيا فى ظلام الليل]
- ليدى كيتى : أواه يا هيوى ! لقد عادت إلى الذكرى واضحة جلية . هل سيقاسون كل ما قاسيناه ؟ وهل ذهب كل ما قاسينا من أجله أدراج الرياح ؟

پورتیوس : یا عزیزتی ، لیس المهم فی الحیة هو ما یفعل الإنسان إنما المهم هو مکنون ذاته وشخصه ، وقلما یستفید شخص من تجارب غیره لأن ظروف کل فرد تختلف عن ظروف الآخر . وإذا کنا قد عالجنا الأمور بشیء من عدم الکیاسة فقد یكون مرجع ذلك لطیش منا أو نقص فینا . إن الإنسان لیستطیع القيام بأی عمل فی هذا العالم ما دام مستعداً لتحمل النتائج ، والنتائج ذاتها تعتمد علی جوهر النفس وصفاتها .

[یدخل کلایف دشامبیون تشیی وهو یفرك یدیه .

إنه فی منتهی السرور]

کلایف : حسناً ، أظن أنني قد قضیت علی فکرة هذا الشاب الطائشة قضاء مبرماً .

لیدی کیتی : أوه ؟

کلایف : علی من یرید أن یتغلب علی خادمک المطیع أن یصحو من نومه فی الصباح الباكر جداً !

[یسمع صوت محرك سيارة تبدأ فی السیر]

لیدی کیتی : ما هذا ؟

کلایف : یخیل لی أنه صوت سيارة . لعل سائق

سيارتك قد أخذ إحدى الخادمت للنزهة
والترفيه !

پورتيوس : ما هذه الفكرة الطائشة التي تتكلم عنها . .
فكرة من ؟

كلایف : فكرة مستر ادوارد لوتن يا عزيزي هيوى !
لقد أخبرت أرنولد عما يجب عليه عمله
تماماً ، وقد نفذ كل ما قلته له . ما الذي
يصنع السجن ؟ إنها الأقفال والقضبان .
انزعها وألق بها بعيداً ، وبعدها لا يجد
السجين لديه أية رغبة في الهروب . أليست
هذه مهارة منى ؟ إنى لأكيل المدح والثناء
لنفسى .

پورتيوس : لقد كنت دائماً ذكياً واضحاً صريحاً
يا كلایف ، ولكنك في هذه اللحظة يكتنفك
الغموض .

كلایف : لقد أوصيت أرنولد أن يذهب إلى الزابث
ويقول لها إن في إمكانها أن تحصل على
حريتها . قلت له أن يظهر لها استعداداه
للتضحية بنفسه على طول الخط . إنى أعرف
نفسية السيدات تمام المعرفة . ففي اللحظة
التي تزول فيها كل عقبة في طريق زواجها

من تدى لوتن يفقد هذا الزواج معظم إغرائه

ليدى كيتى : وهل فعل أرنولد ذلك ؟

كلايف : لقد اتبع تعليماتى حرفياً . لقد قابلته الآن

وعلمت منه أنها فى غاية الارتباك . إني

مستعد أن أراهن بخمسمائة جنيه ضد بنس

واحد على أنها لن تهرب . إني عاجوز

ناصح حكيم . . أه ! ناصح حكيم جداً .

هه . . . ! !

[يبدأ فى الضحك . فتضحك ليدى كيتى ولورد

پورتيرس أيضاً . ثم يضحك الثلاثة معاً ضحكاً عالياً]

« ينزل الستار »

